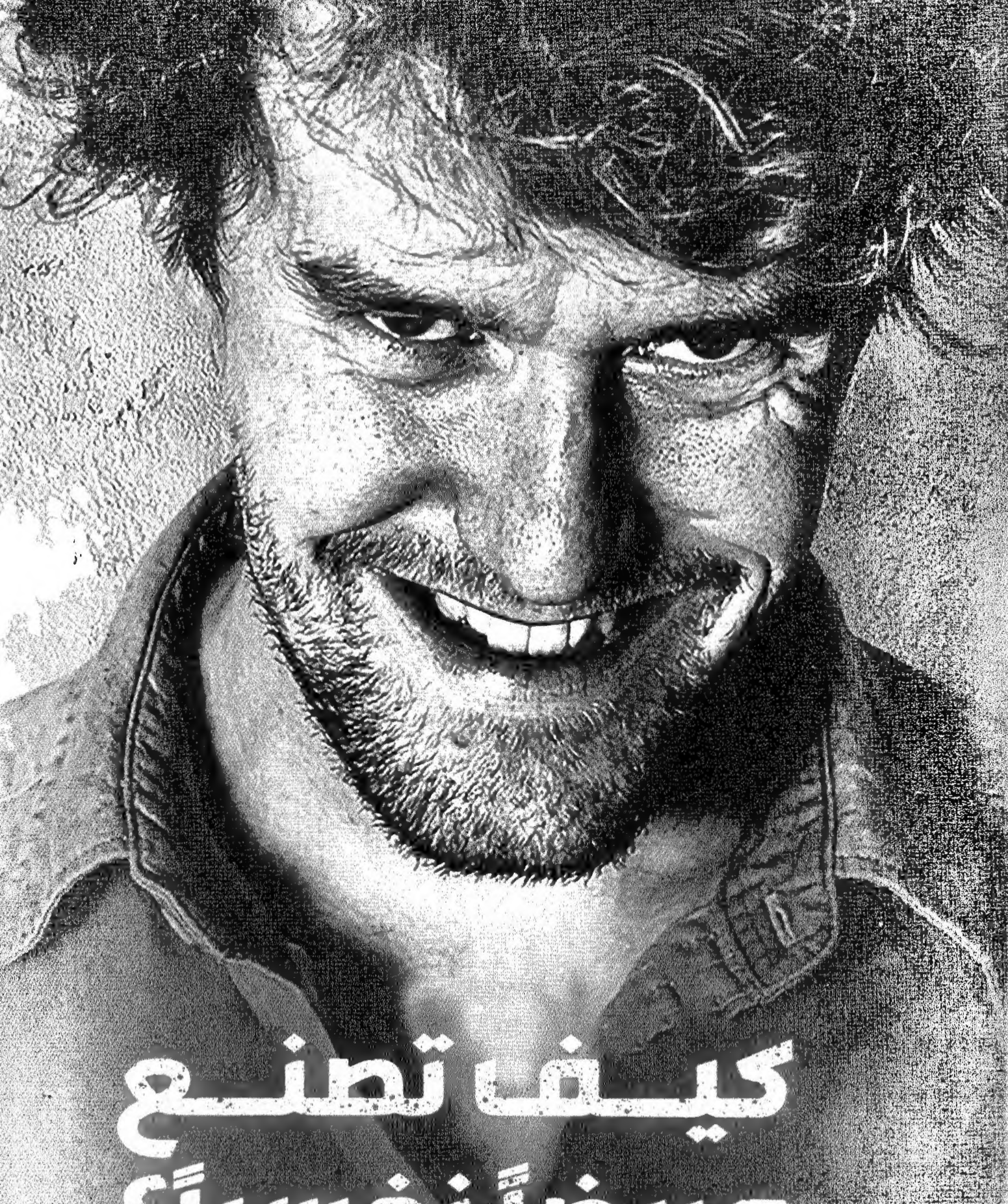
كيف تصنع مريضاً نفسياً؟

كريمة الشريف

دار اكتب



كيف تصنع مريضاً نفسياً؟

كريمة الشريف

دار اكتب

كيف
تصنع مريضًا نفسيًا؟

كيف تصنع مريضًا نفسيًا؟

كريمة الشريف
الطبعة الأولى، القاهرة 2020م
غلاف : أحمد فرج
تدقيق لغوي : نهى عبد الستار سعد الدين
رقم الإيداع : 3930 / 2020
I.S.B.N: 978-977-488-739-0



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

كيف
تصنع مريضًا نفسيًا؟

كريمة الشريف



تحذير

"هذا الكتاب خطير جدًا أنصحكم بقراءته ومحاولة التعرف على كل ما هو خطير في هذا الكون بدءًا من العوالم المجهولة وانتهاءً بأنفسكم."

تنويه

" لا توجد أشياء خطيرة في هذا العالم، لا شيء أخطر مما قد يسكن بين طبقات نفسك، فاقتحم العالم واطمئن من جانبه تمامًا لكن أحذرك لا تأمن جنبات نفسك."

تنبيه

"احتفظ بنسختك الورقية الخاصة من هذا الكتاب، لا تقرضه ولا تعطيه لأحد ولو كان من أقرب الناس إليك. اجر التجارب الموجودة به وأجب على الاختبارت المرفقة به بكل صراحة ولا تطلع عليها أحد. اكتب هوامشك وتعليقاتك على شخصيات الكتاب وتوقعاتك للأحداث. عد للكتاب من وقت لآخر وأعد إجراء التجارب والاختبارات ثم سجل ملاحظاتك وما اختلفت فيه النتائج."

إهداء

"إلى جميع الأوغاد"

إليكم جميعًا، ولي ولهم ولهن: في قصة أحدهم، أنت وغد بشكل أو بآخر.

في داخل كل منا وغد ما قد يكون صغيرًا وقد يكون كبيرًا، بعضهم ينمي هذا الوغد بقصد أو دون قصد فيكبر ويلتهم من حوله ثم يلتهمه وبعضهم يعرفه جيدًا ويعلم طرقًا للتعامل معه ولكن كثير منا يرى ذاته ملاكًا أبيض ويعامل الآخرين وكأنه لا يحمل داخله سوى ذلك الملاك ويترك الوغد يتصرف دون علمه. في هذا الكتاب لا نتحدث عن تلك الملائكة اللطيفة بل عن الأوغاد الذين يعششون في النفوس التي قد تبدو بيضاء ولا يكاد أصحابها يلتفتون لفعائلها السوداء فطوبى لمن التفت .

كريمة الشريف

* * *

مقدمة

أعرفكم بنفسي، أنا محمود ياسين، لست ذلك الممثل المصري الشهير بل أنا شاب بسيط مصري عمري ثمان وعشرين عامًا، أعمل طبيبًا نفسيًا ومعيدًا بكلية الطب أدرس علم النفس في إحدى الجامعات المصرية. اعتدت طيلة عمري مشاهدة أفلام النجم المصري محمود ياسين ودراسة طبيعة الشخصيات بها خاصة تلك الأفلام القديمة التي يقوم فيها الممثل الشهير بدور المريض النفسي أو الموهوم المعذب كأفلام: "الوهم"، "العذاب امرأة"، "أين عقلي"، "سونيا والمجنون"، "على من نطلق الرصاص" وغيرهم. كنت ومازلت أشعر بأن هذا الرجل أستاذًا يبرع في أدوار المجنون والمريض النفسي الذي قد يحاول أن يمرض من حوله أو يحاول الآخرون أن يمرضوه وربما لتشابه اسمي مع اسمه فكنت حريصًا على متابعة جميع أعماله تلك وقراءة الأعمال الأدبية المأخوذة عنها.

تربيت في بيت عجيب ومجتمع أكثر عجبًا. كل من في البيت لا يعرفون طرقًا ناجحة للتواصل ومعظم أفراد المجتمع يحاول الواحد منهم أن يوهم الآخرين، أو يسبب لهم المرض بأنواعه النفسي والجسدي. يعتبر المرض النفسي أساسًا لكثير من الأمراض العضوية وبابًا للكثير من الإثارة والتشويق لغالبية الناس، دعونا نفتح محرك البحث جوجل ونكتب: كتاب "كيف تصنع مريضًا" ولنرى الكم

المهول من البشر التي تبحث عن الكتاب الغامض !! ولأكن صريحًا معكم فقد بحثت أنا نفسي عنه كثيرًا ولكن السؤال هنا: لماذا؟ لماذا؟ لماذا بحثت أنا وهؤلاء الناس عن كتاب: "كيف تصنع مريضًا؟" هل بحثت أنت نفسك عنه من قبل؟ ! هذا الكتاب الغامض الغير موجود لا ورقيًا ولا الكترونيًا ولا باللغة العربية ولا الإنجليزية ولا بأي لغة أخرى والأغرب من ذلك أن الفصول الخاصة بالكتاب مذكورة عناوينها بالاسم في مواقع عديدة على شبكة الانترنت!!! ولذلك فقد فكرت كثيرًا وقررت أن أكتب لكم حكايتي مع صناعة المرضى من خلال رسالة الماجستير الخاصة بي عن الكتاب الغامض والتقنيات المذكورة به ومحاولتي لفهمها من خلال خبرتي ودراستي وقراءاتي وأبحاثي وأفلام الأستاذ محمود ياسين وتجارب حقيقية حدثت لبعض من هم في محيط عملي وحياتي فتوقعوا حكاية مختلفة جدًا عن كل ما هو مألوف وتشكيلة جديدة من المعلومات والحكايات والخبرات التي لن تعلمكم بالطبع "كيف" تصنعون مريضًا ولكن على العكس ستعلمكم كيف تمنعونهم من أن يصنع أحدهم منكم مريضًا.

"محمود ياسين" 2018

ملحوظة: الحقائق العلمية والفنية المذكورة هي استنتاجات حصلت عليها من خبرتي الحياتية والعلمية وتأكدت من كونها حقائق بالتجربة أما الهذيان فهو مجرد هذيان. أي جزء مقتبس بتصرف من كتاب أو موقع مشار له في نهاية الاقتباس وأي جزء غير مشار له هو عملي الخاص.

* * *

الفصل الأول

«الوهم»

حقيقة علمية

"لا يوجد شيء جاهز يصدر لنا ويسمى الوهم، لكن هناك شرارة وهم، لا دخان بلا نار، نحن نلتقط شرارة الوهم ونفتح لها أبوابنا على مصراعيها، هذا الشرر الأول الذي يسبب النار ربما تكن أنت من افتعله أو غيرك لكن لا دخان بلا نار، تذكر جيدًا، الوهم هو مرآة لحقيقة ما خارج نفسك أو داخلها."

قبلة طويلة عميقة غبنا فيها أنا ونهى، تلك القبلة التي تنحبس فيها الأنفاس وتتقطع لتتصل ويتحرك لها جميع أعضاء الجسد باللهفة والرغبة انتهاءً بالشبق اللانهائي. فراولة رائحة شفتيها والعطر فوق رقبتها، أعشق نكهة الفراولة ولا أحب تناولها. طبق هائل من الفراولة المسكرة الأورجانيك ألتهم ما فيه دفعات متتالية، أغوص فيه لتتشربني الفراولة وتسبح في جسدي ولأول مرة فراولة غير ذات طعم لاذع، قمة السكر ونكهة الفراولة، هذا الشربات الذي يطلقونه على دماء النساء لحظات الغزل، ظللت أرتشف حتى غبت في بحر الشربات والموج يصنع زبدًا أبيض اللون كريمة ترفعني شوقًا وتسقط بي في غيوم إسفنجية شعرت معها بالوهن والمرض وتساقط عرقي غزيرًا ليختلط في مياه البحر الحمراء ذات نكهة الفراولة المسكرة لأتزحلق عليها لأسفل.. لأسفل.

في قلب بحر الفراولة تعالى صياح الديكة المزعج من هاتفي والمفعل كمنبه صباحي يومي، فتحت عيناي لأجد جوار السرير طبق جيلي الفراولة الذي صنعته أمس مساءً ولم أتناول إلا جزءًا يسيرًا منه، نظرت له فوجدته قد ساح تمامًا وسقط ما به على ملاءة السرير وبات يشبه شربات الفراولة الذي كنت غارقًا فيه منذ دقائق.

غسلت وجهي وأفرغت مثانتي وصففت شعري في سرعة ثم القليل من القهوة والتوست المحمص، اخترت من دولابي قميصًا من هؤلاء القمصان البيض المتشابهين تمامًا والخاصين بالعمل وبنطالًا كحلي اللون ضيق ولملمت بعض أوراق وكتب في حقيبتي ثم توجهت نحو باب الشقة وانطلقت كالتائه في سيارتي الصغيرة نحو الجامعة كحمار يعرف طريقه جيدا بلا تفكير إلى أن وصلت.

اقتربت من بناية كلية الآداب ثم وجدت تجمع لطلاب السكشن الخاص بي وتبادلنا التحية الصباحية ثم دلفنا نحو الغرف الخاصة بالسكاشن لنرتب تفاصيل الزيارة الميدانية لليوم وبعد الاتفاق على نوعية الأسئلة التي ستقدم لمرضى مستشفي العباسية والأطباء كذلك، توجهنا في مجموعة واحدة لنستقل المترو ونذهب في رحلة علمية خاصة جدًا.

* * *

ربع وهم

لن أتحدث الآن عن مرضى المستشفى بل سأتحدث عن نهى عصام حبيبتي الجميلة، الكاذبة، نعم نحن لا نحب سوى الكاذبين عشقًا أما الصادقين فطوبى لهم وسلام فقط لكن لا عشق. نهى تعرف جيدًا كيف تصنع شرارة الوهم، ربع وهم تقدمه هي لك في طبق من فتنة وإغراء والباقي عليك، أوهم نفسك أنها تحبك، أنها تهتم، أنها تبحث عنك، تتابعك أينما ذهبت، هي تفعل لكن ربع فعل فقط، ربع وهم متعمد ثم يقل الربع ويزيد ما تفعله أنت بنفسك من وهم يتملكك حتى تمرض.

أتذكر أول لقاء لنا في حفل عيد ميلاد صديق، رأيتها وتملكتني ملامحها الوديعة كطفل صغير يرى قطة جميلة لأول مرة، لست من الرجال الذين تفتنهم ملامح النساء عادة- وربما أنني لست كذلك في الواقع لكن هذا ما أعرفه عن نفسي على الأقل، ولكن هناك شيء ما- يجب أن يكون هناك شيء ما- في ملامح نهى جذبني لها، اندمجت في الحفل ثم فوجئت بها أمامي قبل انتهائه بقليل، بادرتني:

-مساء الخير.

لم أرتبك وكان ردي الطبيعي:

-مساء النور.

ابتسمت ثم أردفت:

-يخصني.

لم أفهم فهززت رأسي بمعنى: -ما هو؟

ضحكت: الجاكت، أنت جالس فوقه، هو لي، يخصني.

هنا ارتبكت وانتفضت قائمًا من مكاني لأجدني بالفعل جالسًا على الجاكيت الخاص بها، قدمته لها معتذرًا:

-أنا آسف.

نظرت لي نظرة عديقة طويلة: -أنت طبيب، أليس كذلك؟

-بالفعل، كيف عرفتي؟

-أسلوب الكلام، حركات اليد ونظرات العيون.

أزاحت خصلة من شعرها البني للوراء ثم أخذت الجاكيت من يدي حيث كنت ما زلت ممسكًا به وأنا أفكر:

"النساء كائنات ساذجة يتباهين بالمعرفة وكأنها حكر عليهم فقط، بالتأكيد شخص ما أخبرها عني."

سألتني:

-طبيب أمراض نفسية؟

أجبتها متظاهرًا بالتعجب من معرفتها العميقة:

-بالفعل.

-ألن تسألني كيف عرفت ذلك؟

"ما زالت تتفاخر بما عرفت وكأنها علمت سر مقبرة الإسكندر"، أجبتها:

-نعم طبعًا، كيف لك بتلك المعرفة عني؟

مطت شفتيها ببرود قائلة:

-يبدو عليك ذلك.

استفزتني إجابتها فتركتها ومضيت مبتعدًا لكن التفتت لأجدها تحملق في بهدوء وابتسامة ساخرة فوق شفتيها، تفحصتها جيدًا، قوامها الرشيق، شعرها البني المموج، عينان رماديتان وربما أنها تضع عدسات لكن عيناها جذابتان، بشرة بيضاء مائلة للصفرة قليلًا وثياب بسيطة، تنورة قصيرة بنية حتى الركبة وبلوزة بسيطة بيضاء حريرية ثم وضعت الجاكت فوق كتفها وخرجت وما زالت ابتسامتها فوق وجهها.

أتذكر وقتها، لم أفكر كثيرًا فيها وربما لم أتذكرها بعد ذلك حتى كان يوم فتحت التلفاز على قناة من قنوات الفضائيات الكثيرة لأجدها هي بعينها في برنامج يتحدث عن الأحلام والأبراج وتلك الأشياء التي لم أكن أعتقد بها في هذا الوقت رغم دراستي وعملي الذي يرتبط بالعقل الباطن والواعي لكن كنت دائم الالتصاق بالعلم والحقائق والبعد عن كل ما هو غير منطقي إلى أن رأيتها فتغيرت حياتي بالكامل. كنت متابعًا جيدًا للبرنامج، أنتظره كل أسبوع مساءً وأنهي جميع

أعمالي لأذهب للمنزل وأطالع نهى عصام، المذيعة اللطيفة التي تهتم بالصور المرسلة عبر العقول أثناء النوم وعن العقل الباطن، في البداية ظننتها تخرف لكن وجدت كلامها مبني على أسس علمية ومرتبط بنظريات علم النفس فجذبني البرنامج وجذبتني شخصيتها وطريقة كلامها كمذيعة جيدة لكن ليس كأنثى.

النساء، ذلك اللغز الذي لا حل له، ماذا يفعلن بنا نحن الرجال حتى ننجذب لهن بلا عقل وربما سلمنا لهن العقول بأريحية وعن طيب خاطر لنتخلص ونرتاح من وجع تلك العقول وإرهاقها اليومي المزعج؟ لكن ماذا عن إزعاج النساء؟ أيهما أفضل؟

في ذلك المساء وبعدما انتهى البرنامج الخاص بنهى، فتحت هاتفي المحمول كما أفعل كل يوم وتصفحت صفحة الفيس بوك الخاصة بي، كان هناك عدد من الرسائل تحوي مشكلات نفسية لبعض المتابعين ورسائل من بعض أهالي المرضى، رددت على الجميع في فتور ثم تفحصت طلبات الصداقة ووجدت طلب منها، تعجبت قليلًا وقبلت على الفور، تفحصت في صفحتها ولم أجد ما يجذبني، صفحتها كصفحات باقي الصديقات من الإعلاميات والطبيبات لا سيما بعض الصور المميزة لها، أغلقت الجهاز ونمت، ثم كانت بداية الوهم أو فلنقل بداية الربع وهم.

* * *

ربع وهم مقابل ربع وهم

حقيقة فنية

"حافظ على بطنك مستقيمًا دائمًا أو فلتجذبه للداخل بعد الطعام إن كنت من هواة الإغراء فلا توجد أنثى تنجذب انجذاب حقيقي لرجل بكرش - ينطبق نفس الكلام على النساء، قد نقبل جمال أنثى لها كرش ظنًا منا أنها امرأة حامل لكن هل يحمل الرجال؟"

لست بريئًا جدًا كما أبدو دائمًا، أنا محمود ياسين، الوسامة، الإغراء، الرجولة والذكورة كما ينبغي لهما أن يكونا. الإغراء فن يتقنه بعض الرجال كما النساء تمامًا بل وبشكل أخطر، بكل فخر أنا واحد منهم. وسامتي مميزة، أسمر البشرة - دائمًا الرجل الأسمر مفضل لدى النساء رغم عدم وجود ما يؤكد تفوقه الذكوري - شعري الأسود الناعم أعطيه قليلًا من الحرية ليستطيل وينسدل قليلًا فوق رأسي، عينان واسعتان سوداوان ناعستان، شفتان مستديرتان وأنف مستقيم، جسد رياضي ممشوق وبطن مسطح، جاذبية الرجل غالبًا لا علاقة لها بالشكل الخارجي بل بشخصية الرجل لكن لا مانع لو دعمناهما بوسامة ورشاقة لا تخطئها العين وبطن مسطح تمامًا. مع ذلك فأنا لست رجلًا لعوبًا إلى حد ما بل رجلًا هادئًا. ربما أحب التفاف النساء

حولي لكنني أحب الاستقرار وعكس الكثيرين أفضل الزواج كعلاقة مع المرأة التي أحبها وكنظام اجتماعي رغم فشلي في أول زواج لي، لم؟ لأني عقيم وهي أرادت الأطفال واحترمت إرادتها. سنوات من الحب قضيناها سويًا في فترة الجامعة ثم عام من زواج سعيد ثم تحاليل وفحوصات ثم طلاق ينهي أعوامًا من الحب ويفضي بي في وحشة وعزلة وعزوف عن النساء. الكثيرات حولي وربما أريد الزواج لكن كيف أتزوج بلا حب؟ لا أجد امرأة أستطيع إدخالها قلبي ولا يمكن لامرأة أن تهزمني وتقتحمني ولكن مهلًا، نهى هزمتني واقتحمت روحي وعقلي وقلبي وجسدي وجعلتني أحبها رغما عني. عندما أحببت زوجتي لم تهزمني، أدخلتها قلبي عن طيب خاطر لكن نهى تسللت كما يتسلل اللص ثم اخترقت جميع جوارحي لتعلن احتلالها الكامل بلا علمي وبلا موافقتي. حدث ذلك منذ تلك الليلة، أتذكرها جيدًا بكل تفاصيلها. كنت عائدًا من عشاء ليلي برفقة أصدقاء ذات مساء، الساعة قاربت منتصف الليل، اعتدت ليلًا قيادة سيارتي ببطء لأتجنب الحوادث ومشكلات القيادة الليلية. الطريق مظلم وموحش والسيارة تسير ببطء، لا أعلم لم شعرت يومها بقشعريرة وبأن هناك شيء ما سيحدث، اقترب من السيارة شبح امرأة تشير بيدها لأتوقف، عادة لا أتوقف أبدًا بسيارتي لأحد في هذا الوقت من الليل لكنها امرأة ووحيدة، اقتربت منها وأبطأت السيارة ودققت النظر في وجهها، كانت هي، نهى عصام، تقف وحيدة مرعوبة في الشارع المظلم الموحش في هذا الوقت من الليل وتشير لي بلهفة

لأتوقف بالسيارة فتوقفت، هرعت للسيارة وفي سرعة فتحت لها الباب الأمامي وأدخلتها بجواري، اقتربت مني وعاد لها الهدوء، عيناها الرماديتان تحملقان في، تقترب، لون أحمر فاقع في عينيها، لا بل في شفتيها، شعرها البني يتحول للون الأحمر أيضًا، لا بل به خصلتين حمر فقط، اقتربت أكثر، رائحتها الناعمة اخترقت أنفي لتصل لعقلي، ابتلعتها بل ابتلعتني، عيناها في عيني، شفتاها تقترب، هل صرت خجول أم خائف؟ أجدني مكبل تماما لا أقترب منها، أصابعها تعبث في قميصي، نظرت خلف زجاج السيارة لأجد أربع أشباح لأربع رجال عراة تمامًا واقفين في الشارع المظلم لكنني أراهم جيدًا، نعم ها هم يراقبوننا في صمت من خلف الزجاج، انتفضت عندما كانت يداها تعبثان بجسدي، هل خلعت كامل ملابسها؟ هل خلعت كامل ملابسي؟ كيف ومتى؟ بشرتها الناعمة تسرقني، تسيح فوق بشرتي، لا بل ماكياجها يسيح، هل تضع ماكياجًا فوق بشرتها؟ الرجال خلف الزجاج يضحكون، هل صرت أنا خجول أم أنني خائف؟ لم تروعني نظراتها؟ لم توحشت نهى الرقيقة هكذا؟ استسلمت لها تمامًا وامتزجنا زيت و ماء من نوع خاص قابل للمزج، ما زلت أتذكر طعم شفتيها في تلك الليلة ورائحة جسدها، طعم الفراولة ورائحتها الناعمة ولم أكن أعلم أنها هكذا اخترقت عقلي الباطن لتصل لقلبي بل لكل جوارحي، نعم، استيقظت بعد عبور بحار النشوة الكاملة لأجدني وحيدًا أتصبب عرقًا في السيارة الواقفة في الشارع المظلم خلف المطعم ورأسي فوق الدريكسيون ولم أبدأ القيادة، هل غفوت هكذا

وها هنا في السيارة؟ كنت أحلم إذن..هل هناك حلم حقيقي لهذه الدرجة ؟ لقد شعرت بجسدها وما زلت أشعر به وشممت رائحتها وما زالت بأنفي، كان كامل جسدي مليء بالمتعة و رائحة الفراولة وكلي رغبة وشوق في الوصول لنهى عصام ووصلها واقعًا وليس حلمًا فقط لكنني لم أكن أعلم أن الأمر ليس بهذه السهولة.

الأحلام لها طبيعة غريبة في حياتي فكم من حلم غير لي مجرى حدث أو ذكرني بشيء ما أو تنبأ لي بحزن أو فرح لكنها المرة الأولى التي فيها يجذب حلم انتباهي لشخص ما. كان الحلم هو الشرارة الأولى التي جذبت انتباهي لنهى كامرأة وامرأة فاتنة تمامًا، تختلف عن جميع من عرفت من النساء، شعوري بها في الحلم كان ممزوجًا بحنين غير عادي، بشوق وارتباط عجيب وربما حب، وجدتني أتابع صفحتها على الفيس بوك، أتأمل صورها وأراها فاتنة ومثيرة بعدما كنت أراها عادية تمامًا ثم وجدتني أتابع منشوراتها على فيسبوك، كانت الرسائل واضحة لا تقبل الشك، منشور عن طبيب نفسي يقتل مريضه بعد ربطه على السرير باحكام بطريقة أودت بحياته وسخرية من الأطباء النفسيين، ثم منشور ساخر عن موسيقى الجاز التي أفضلها وأسمعها وأنشرها دومًا على صفحتي ويعلم جميع أصدقائي بحبي لها، ثم منشور لأغنية غرامية للرجل الأسمر ثم أفلام محمود ياسين، كنت أغضب أحيانًا وأحيانًا أخرى أضحك عندما أرى منشوراتها تلك وأعتبر شعوري بأنها تخاطبني وهم من عقلي الذي يصورلي أنها تقصد لفت انتباهي، لم أكن رجلًا فيسبوكيًا في المقام الأول لكنني بت أحب

مطالعة منشوراتها تلك والسخرية منها بيني وبين نفسي، الفيس بوك بالنسبة لي منصة للعمل كالعيادة والمؤتمرات والتلفاز وأي منصة إعلامية أخرى لا تستغرق مني وقتًا كبيرًا، صرت أتجاهل رسائلها تلك والتي اعتقدت في قرارة نفسي أنها مجرد أوهام من عقلي لكن تكرر الحلم وبنفس الصورة السابقة وبذات الإحساس، باتت نهى وهما يؤرقني وبشكل كبير فقد كنت كثيرًا ما أفاجأ بصور ذلك الحلم وأنا مستيقظ تهجم على عقلي حاملة معها ذات السعادة الوهمية، قررت الاقتراب منها بناء على نصيحة من صديق قديم أخبرني أنه: " إذا خشيت شيء فعليك أن تقترب منه" ولكن لا أعلم حتى الآن هل كنت مخطئًا باقترابي منها أم لا؟ هاتفت مصعب صديقي الذي كان الحفل حيث قابلتها في منزله وتحدثنا قليلًا عنها، سألته بعض الأسئلة عنها ثم طلبت منه رقم هاتفها:

-نهى عصام؟ لماذا نهى بالذات دون غيرها، ما حكايتك مع تلك المرأة؟

-لا توجد حكاية ولكن هل هناك مشكلة في التعرف على نهى بالذات؟

-أبدًا، لم أقصد ذلك ولكنني أعرفها جيدًا، نهى من ذلك النوع اللعوب من النساء اللاتي يخترن رجلًا ما ثم يضعنه ككرة في رؤوسهن لتعذيبه، ربما تتلاعب بك، احذر منها.

-يبدو أنك نسيت طبيعتي، لا يوجد امرأة يمكنها التلاعب بي، حدثني عنها، ماذا تعرف عنها جعلك تحذرني هكذا؟

-أنا أعرفك جيدًا يا صديقي وأعرف أنه لا يمكن للنساء التلاعب بك بسهولة ولكن نهى هذه أفعى رقطاء، لها تاريخ حافل بالزيجات الفاشلة والطلاقات التي استفادت منها كثيرًا، لم تنجب سوى من زوجها الأول طفلة واحدة جميلة، هل يمكنني معرفة فيم تريدها؟

-أريدها في عمل له صلة بالإعلام، هل من الممكن أن تعرفني عليها؟

-سأحاول، ألستما أصدقاء على الفيسبوك؟ حادثها على الماسنجر.

-أجد أنه من غير اللائق محادثتها على الماسنجر بدون معرفتها الشخصية، أعلم أنك صديق مقرب لها فهل يمكنك أن تحدثها عني؟

-لست مقربًا جدًا ولكن يمكنني أن أخبرها برغبتك في العمل معها.

كانت الصدمة عندما أخبرني مصعب أن نهى اعتذرت وأنها لا تستطيع محادثتي في الهاتف فهي لا تحادث رجالًا لا تعرفهم وأنه يمكنني مقابلة سكرتيرتها الخاصة لو أحببت مناقشتها في عمل. وجدتني أفكر: هل أخطأت أن كنت طبيعيًا في تصرفاتي معها؟ هل كان لابد من مراوغتها ولفت انتباهها كما تفعل هي، بت متأكدًا الآن أنها بالفعل تضعني في رأسها كما قال مصعب وأن الصدق لن يجدي مع أمثالها بل فلأدفع لها بريع وهم مقابل الريع وهم الذي قدمته لي، فلأستخدم نفس طريقتها إذن فالصدق لن يجدي معها، سألعب دور

المعجب والمتيم لكنني لن ألعب كالأطفال كما تفعل هي بل سأطبق عليها نظريات علم النفس جميعها، هي تطبق بعضها دون أن تدري لكن دعنا نريها الاحتراف فلنبدأ مثلًا بـ "غسيل الدماغ".

* * *

حقيقة علمية

"لتجعل فتاة جميلة مغرورة كخاتم باصبعك، اغسل لها رأسها الجميل وعبئه بأفكارك، الأغاني التي تحبها، المنطق الذي تتبعه، اكتب لها أحبك وأموت بغيابك وأنت تسمع المهرجانات، عندما تشتاق لها لا تخبرها بذلك، تجاهلها قليلًا ولا تسرف،أخبرها بغرامك وشوقك وأنت تلهو أو تأكل، إن كنت تحمل مشاعر حقيقية في لحظة قولها ستتركك وتتجاهلك وتزهد فيك وعندها ستمرضك بها والعكس صحيح."

التجاهل فن، بعضهم يسرف، وبعضهم يقتر، لكن خير الأمور الوسط. بدأت بمتابعتها عن بعد عبر حسابها على الفيس بوك، وقررت مخاطبتها بذات طريقتها بإعجاب بسيط مرة واحدة لمنشور ما، ثم تجاهل متعمد لمنشور مميز لها، لقاء، جائزة، حلقة تلفزيونية مميزة أو منشور موجه لي ثم إعجاب آخر لمنشور تافه، لا تعليقات في هذه المرحلة، ثم قمت بمشاركة أغنية مخصصة لعيونها الرمادية grey eyed girl، ها هي وضعت علامة الاعجاب ذات القلب الحمراء أخيرًا، ربما لو كنت صادقًا في مغازلتها لما كانت لتعرني أي

انتباه، واضح أن الأغنية أصابت غرورها تمامًا فها هي تنشر منشورات عن جمال العيون الرمادية وتميزها، هنا يأتي دور التجاهل مرة أخرى، تجاهل تام حيث قررت وقتها مغادرة القاهرة للصعيد حيث مسقط رأسي لقضاء إجازة أسبوعين والتخلص من أثر الشبكات والتواصل الاجتماعي على عقلي المرهق، أغلقت الفيس بوك تمامًا ولم أعره أي انتباه فقد قدمت لها الربع وهم جاهزًا مغلبًا لتشربه وتجهز لي رأسها الجميل لعملية غسل الدماغ والذي يتبلور بصورة واضحة هنالك في الجنوب، في بلادي العليا، صعيد مصر. جلست أجهز حقيبتي وأنا أطالع ما تفعله نيللي بمحمود ياسين عدة مرات في فيلم الوهم، هل كان وهمًا فقط أم أنه وصل لمرحلة غسيل الدماغ؟

حقيقة فنية

"الغرور هو نقطة ضعف الدواهي من البشر، كن فنانًا في التعامل معه ومعهم."

* * *

الفصل الثّاني:

«على من نطلق الرُّصاص»

بحث رسالة ماجستير حول غسيل المخ وعلاقته بآليات صناعة المريض المذكورة في الكتاب المزعوم: "كيف تصنع مريضًا"

غسيل الدماغ

(غسيل الدماغ)بالإنجليزية (Brainwashing) :يقصد به أي محاولة لتحويل الفرد عن اتجاهاته وقيمه وأنماطه السلوكية وقناعاته ثم توجيه فكره وقناعاته نحو أفكار جديدة مغايرة لما يحمله من معتقدات حالية ، وتبنيه لقيم أخرى جديدة تفرض عليه من قبل جهة ما سواء كانت فردًا أو مجموعة أو مؤسسة أو دولة . ويندرج مصطلح غسل الدماغ تحت مسميات مختلفة تحمل المفهوم نفسه مثل: إعادة التقويم، وبناء الأفكار، والتحويل والتحرير المذهبي الفكري، والإقناع الخفي، والتلقين المذهبي، وتغيير الاتجاهات. هنالك مرحلتين رئيستين لغسيل الدماغ وهما: 1-استخلاص الاعترافات الخاصة بالمعتقدات الحالية.2-إعادة التأهيل لاستقبال الجديد من الفكر والمعتقد. (د.راغب، 1997)

تخيل أنك تضع رأسك كل صباح تحت صنبور المياه فتسقط عنه الأفكار ثم تختلط بالماء وتنزوي في المصرف بعيدًا، ماذا سيكون شعورك؟ كيف يمكنك الحصول على أفكارك ومبادئك مرة أخرى؟ سيصبح رأسك عندها خاليًا ومخك مستعد لاستقبال أي أفكار جديدة وربما تجد به القديم من الأفكار الذي يظهر عند عملية الغسيل ويفاجئك.

تخيل كذلك أن أحدهم قام بفتح رأسك أثناء نومك أو في لحظات استرخائك وسرحان عقلك ثم قام بوضع عدة أفكار جديدة؟ هل ستعرف ذلك وتشعر به؟ ماذا ستفعل إذن؟ هل ستقاوم؟ هل يمكنك عندها استرجاع ما تؤمن به من معتقدات وأفكار وكيف ستفعل ذلك؟ بالقوة أم ستحاول فعل ذلك بالمراوغة والحيل؟ هل ستطلق النار على هذا الشخص إن كنت تحمل مسدسًا أم أنك ستبتسم ببساطة وترتب أفكارك من جديد فتسترد ما يخصك وتعيد له ما لا يعجبك وربما احتفظت بفكرة أو اثنتين مما زرعهم برأسك؟ وربما قمت أنت بمهارة بزرع ما تريد من أفكار في رأسه، فكر قليلًا واكتب إجابتك في السطور التالية:

....

....

....

يعود تاريخ غسيل الدماغ للعصور القديمة فيقال أن المصريين القدماء قاموا باستخدامه عن طريق الكهنة والمعابد والسحرة، وكذلك الصينيين وغيرهم من حكام الممالك القديمة كما تخبرنا الأساطير القديمة أنه استخدم في التأثير على الأفراد من خلال تلميحات مثل نبوءة عرافة تغير مجرى حياة شخص بالكامل فنجد على سبيل المثال أوديب والذي يولد لملك تصب عرافة في رأسه فكرة ما مفادها أن ابنه سيقتله ويتزوج أمه فيقوم الملك بالتخلص من الطفل الذي يكبر غريبًا عنه فيقتله بالفعل ويتزوج أمه ومن

هنا نجد أن عملية بذر الفكرة هي من أخطر مراحل غسيل الدماغ ويمكنها تحويل مسار حياة فرد أو مجموعة من الأفراد أو الشعوب بشكل كامل وربما يكون السبب في نجاحك أو هدم حياتك فكرة ما غرسها أحدهم في رأسك أو فكرة ما قمت أنت بغرسها في رأس أحدهم. جوست ميرلو عالم نفس هولندي استخدم مصطلح قتل العقل Menticide ليشير لعمليات غسيل الدماغ حيث يؤكد أن العملية تسبب خضوعًا لا إراديًا لسيطرة نظام لا تفكيري لكنني أرى أن عمليات غسيل الدماغ تختلف تمامًا عن ذلك فيكفي إيحاء بسيط أو تلميح كي تغير فكر شخص أو مجموعة أشخاص وتوجههم نحو فكر مغاير تمامًا قد يسبب تغيير مفاجئ وغير متوقع بالمرة فليس بالضرورة أن تخضع من حولك خضوعًا تامًا كي تتم عملية غسيل الدماغ ولكن قوة الفكرة المغروسة وعمقها هما الأهم، في فيلم INCEPTION يقول البطل أن أخطر فيروس هو الفكرة فهل سبق وقام أحدهم بزرع فكرة ما رغما عنك أو دون أن تشعر؟ كيف حدث ذلك؟ هل كان عن طريق حوار؟ برنامج إعلامي ثقافي أو ديني أو ترفيهي؟ هل كان إعلان؟ كتاب؟ هل هو واحد من ذويك؟ أصدقائك؟ معلميك؟ هل كانت الفكرة سيئة أم إيجابية؟ ما حجم التغيير الذي حدث وحجم خسائرك ومكاسبك؟ هل حدث لك احتلال فكري عن طريق إحدى وسائل التواصل الاجتماعي؟ هل هو الفيس بوك؟ أحببت إحداهن؟ أم أنت ملك قلبك رجل ما رغما عنك؟ هل تخلصت من هكذا احتلال؟ وكيف؟ هل شعرت ذات مرة باختناق أو

ألم حقيقي جراء حظر أو تجاهل عبر الفيس بوك؟ كم مرة تساقطت دموع حارة حقيقية من عينيك إثر ذلك التجاهل أو القسوة أو الحب عبر الأثير؟ هل هزتك فرحة ما وزلزلت مشاعرك عبر وسائل التواصل الالكترونية تلك؟ هل تشعر أن ذلك خطر حقيقي أم مجرد شيء تافه أو وهم لا يجب الالتفات له؟ ولكن ما هذه التأثيرات الجسدية التي تنتابك عند حدوث عمليات الحظر والتجاهل للرسائل وحظر الرسائل والمنشورات الموجهة لك بشكل سلبي والحظر الذي تقوم به؟ هل قمت بقياس ضغطك وحرارتك بعد أي من هذه المواقف؟ هل تنوي ذلك؟ هل شعرت باكتئاب مرتبط بالفيس بوك وكيف كان ذلك؟ أترك لك المجال لتتحدث قليلًا مع نفسك:

....

....

....

....

....

....

يقول مارك زوكنبرج أن الفيسبوك هو مستقبل التخاطر وأنا أؤمن بذلك كما أجد أنه من أكبر وسائل غسيل المخ وتجربة توجيه الأفراد حاليًا. دعني أذكرك بثورات الربيع العربي كمثال والتي كان الفيس بوك المحرك الأول والراعي الرسمي لها حينئذ ثم فلننظر للتأثير الذي حل بالعالم العربي بعد تلك الثورات بحيادية دون الارتكان

على نظرية المؤامرة بل فلننظر في نظرية تأثير الفراشة مثلًا والتي تقول أن أي تغير بسيط في أي شيء قد يكون عظيم الأثر في وقت ما على شيء آخر مغاير تمامًا، جدير بالذكر أن هذه النظرية تسمى نظرية الفوضى حيث تشير أنه يمكن لحدث صغير إحداث الكثير من التطورات والتغيرات التي ربما لا تكن ذات صلة بالحدث بشكل مباشر، وذلك يشبه أيضًا تأثير الدومينو التسلسلي بحيث يقوم أول حجر بتحريك ما بعده من أحجار ليدفعهم في طريق ما، دعنا نفرد مثالًا لذلك طفل صغير يخبر والدته بعراك بينه وبين طفل آخر فتتشاجر الوالدة مع والدة الطفل الآخر ثم يأتي الأبوين ويتشاجران كذلك ويحدث قتل خطأ يتبعه سلسلة لا تنتهي من حوادث الثأر وربما تحدث في ذات التوقيت حوادث مماثلة في عدة قرى أخرى بنفس ذات التتابع فيربطهم الناس ببعضهم البعض. هناك أيضًا مثال آخر وهو سلاسل الحرائق التي انتشرت في العديد من القرى المصرية في تتابع واحد وتوقيتات متقاربة بلا علم لسبب أو أسباب محددة تزايدت بعدها هذه الحرائق وانتشرت في كل القرى تقريبًا، نريد هنا الإشارة لأهمية الحدث الصغير في الأحداث العظيمة وكيف يمكن أن يحدث هذا للفرد على مستوى حياته فمثلا ذكر لي صديق أن والدته ماتت محترقة بسبب عود ثقاب كان يلعب هو به عندما كان طفلًا وتركه مشتعلًا بلا قصد فاشتعلت النيران بالغرفة بعدما ترك الثقاب بها ولحقت بوالدته بالغرفة المجاورة لها وكان هو يلعب بالحديقة في تلك اللحظة، وقتها انتشر بين الناس أن والدته ماتت منتحرة

لخلافات كبيرة بينها وبين والده كما أن والده قد صدق ذلك والطفل هو الشخص الوحيد الذي يعلم الحقيقة، كبر وهو يرى علامات عقدة الذنب على وجه والده وربما أنه لم يخبره ليتشفى من معاملته السيئة لوالدته وربما لسبب آخر وهو ليستطيع السيطرة على كل أعمال والده حيث تغيرت شخصية الوالد المسيطرة لشخصية ضعيفة تماما جراء عقدة الذنب التي أصابته بعد موت زوجته وأصبح صديقي هذا من أهم رجال الأعمال في مجاله والذي ورثه عن والده.

هل حدث لك شيئًا مشابهًا؟ حدث صغير تافه مقصود أو غير مقصود غالبًا وأدى لتغيير كبير في حياتك؟ هل كان التغيير إيجابيًا أم سلبيًا؟ هل فعلت ذلك بأحدهم؟ كيف كان ذلك ومتى وما هى نتائجه عليك وعلى الشخص الآخر؟ هل يمكنك إجراء تجربة للتأكد من هذا الأمر؟ ما هي؟

....

....

....

....

....

....

* * *

نجع عمران

"عندما يسدل الليل عباءته الثقيلة فوق ظهر النجع يتظاهر بأنه حنون وعطوف، يتظاهر بأنه يحاول مساعدته على النوم لكنه في الحقيقة يحاول تغطية عينيه عن الجرائم الليلية والتي لابد وأن تحدث في ليل النجع. ليل نجع عمران، خطوات راضي الديب ثقيلة لكنها باردة، ثقيلة ثقل همه وباردة برودة قلبه، يزحف ناحية الجبل ويجر في يده سميرة طالبة دبلوم التجارة أخته الشابة، يتوقف في منطقة خالية، ضربات قلبها تعلو أكثر، هي تعلم ما يحدث جيدًا ولا يمكنها الفرار، يتعاظم داخلها شعور بالراحة والخلاص، ضوء القمر ضعيف، غاب البدر وحل محله هلال نحيف حزين، عيناها تشخصان للأمام، تتحاشى التقاء عيونهما، تعلم ما عليها فعله، تجلس على الأرض، رأسها منكسة في الرمال، تحاول البكاء، لا تستطيع، أحيانًا تكون الدموع عصية قاسية كقسوة البشر، لا ينفع معها الاستجداء بل يصبح مجرد ذل وعندها يكون الاستسلام للصمت وما يحمله القدر أفضل كثيرًا، لم ينتظر راضي ولم يتحرك قلبه، الحكم نافذ والبندقية الآلي في يده، دفقة من الرصاصات وانتهى الأمر. حفرة عميقة في قلب الجبل، الأدوات في الكهف الصغير منذ الصباح، جثة سميرة تستلقي في الحفرة في راحة وفي قلبها جنين صغير،

الحفرة عميقة عمق الجراح لا شيء يغلقها سوى التراب ذلك الذي صنع منه الانسان. "

وصل القطار، أفقت، وجدتني قد نمت أثناء قراءتي لجزء رسالة الماجستير، هل حلمت براضي الديب جاري في البلد وسميرة أخته؟ كان كابوس رهيب، لابد لي من زيارتهم. طالعت بلدتي الجميلة من النافذة، نجع عمران، كم أحبك، كم أشعر بالدفء والحنين لك، قاسية أرضك كقسوة أم معطاءة صامتة ولكن سماءك حنون كغطاء دافئ في ليلة باردة ورائحة طينك الطيبة تملأ روحي ولا تتركها أينما حللت. لم أخبر أحد بحضوري فلم أجد من يستقبلني لكنني كلما مررت بدكان بقالة، مقهى صغير أو أحد المحال المتناثرة هنا وهناك ألقيت السلام وتبادلته مع الرواد وربما كنت أتوقف عند بعض منها ممن أعرفهم معرفة جيدة وأتبادل حوار قصير عن الأحوال، ها هو عم مرقص البقال، اقتربت من دكانه العتيقة والتي لم تتغير منذ عهدتها في طفولتي رغم انتشار السوبر ماركت في كل مكان بالنجع وتوافر كل شيء فيه بما في ذلك أغلى الأطعمة المستوردة لكن هذا الدكان يشبه الآثار ويحتفظ برونقه كلما تعتق مثلها تمامًا، رائحة الجبن الأبيض والحلاوة اللفت والطرشي كما هي، رائحة الصابون الرخيص، الطلاء الجيري الأزرق أو ما بقي منه بالكاد، البنك الرخامي القديم ذو الجزء المتحرك حيث يحبس من خلفه ويتحرك لخروجه بحركة من يده، برطمانات الحلوى البلاستيكية الشفافة واللبان تختال فوق البنك بألوانها المختلفة، علب السردين والتونة والسالمون مرصصة في

الخلفية ذات التقسيمات المربعة شبه الفارغة في الجدار، لا شيء تغير مع الزمن سوى وجهه الأسمر الذي تغضن فصار كتمرة معتقة لذيذة، ما زال يرتدي جلبابًا رماديًا وعمته المميزة البيضاء، رآني فانفردت سحنته وتبسم لتظهر أسنانه الصفراء وبينها سنًا ذهبيًا:

هتلاحق على إيه ولا إيه، الناس مبقاش عندها ضمير ولا بتخاف رب وفي ناس بتقول خطفها جن سفلي، ربك هو العالم.

-دكتور محمود، عاش من شافك يا ولدي.

-كيف حالك يا رجل يا طيب.

تعانقنا وكعادته كلما رآني أحضر لي كرسيًا وملأ لي كيسًا بالحلوى واللبان والمصاصات، ضحكت كعادتي أيضًا:

-صرتُ عجوزًا يا عم مرقص وشاب شعري وما زلت تهاديني بكيس الحلوى؟

- كبرت عليَّ مثلًا؟

-لا سمح الله، هات يا عم.

التهمت الحلوى بنهم وسألته:-ما أخبار النجع؟

- ما زال على حاله الخائب منذ آخر مرة كنت بها هنا، هل عرفت الكارثة؟ سميرة أخت راضي جاركم خطفت.

-خطفت؟ كيف حدث ذلك؟

-كانت ذاهبة للمركز تشتري طلبات للمدرسة ولم تعد من يومها، خطفوها ولاد الحرام.

-ما هذا؟ هل تم تبليغ البوليس؟

شرد بنظره بعيدًا في حزن بالغ وراح يدخن سيجارته القصيرة التي اعتاد لفها يدويًا:

-يقول أخوها أنه بلغ البوليس ولكن في قريتنا التعسة من يختفي لا يعود، تكررت حوادث الخطف هذه الأيام، ماذا ستفعل الحكومة إن اختفى الضمير واختلط الحلال بالحرام، لابد من قانون رادع وعقوبات سريعة ليخاف المجرمون.

انتفض عندما لسعته السيجارة وزعق قائلًا برعب حقيقي:

-يقول بعضهم أن من خطفها جن سفلي!! ربك العالم.

ابتسمت له: جن سفلي بنفسه تطوع لخطفها؟

صمت ولم يرد وندت في عينيه نظرة بلهاء وكأنه يريد إنهاء الحديث في ذلك الأمر، سرحت قليلًا في الحلم الرهيب، أعرف نفسي جيدًا وأعرف أحلامي الغريبة، ربما ما رأيته حقيقي وربما لا، كيف أعرف الحقيقة؟ وهل لو عرفت سأفعل شيء مفيد؟ ما فائدة الأحلام اذن؟ لماذا جعلنا الله نحلم؟ هل هي رسائل حقًا؟ وماذا نحن فاعلين بها؟ نعم الكثير من الأحلام ساعدتني فيما قبل وكثيرًا منها أحزنني وتنبأ لي بتعاسة فماذا استفدت؟ ذات مرة حلمت بأنني أغرق في بحر ضخم وبيدي حقيبة نقودي التي كنت أبعثر منها، أتذكر كم كنت مسرف وقتها، حين استيقظت ابتعت شقة بكل ما أملك من مال سائل تضاعف سعرها الآن ثلاث مرات وغير ذلك الكثير من

الأحلام المحذرة لكن هذا الحلم ماذا يعني؟ ماذا لو أن راضي قتل سميرة بالفعل وادعى أنها خطفت؟ أعرف أن بعض أحلامي حقائق حدثت أو ستحدث لكن ما فائدتها؟ هل هذه هبة من الرب أم هي نقمة؟ لنفرض أن راضي الديب قتل سميرة بالفعل ماذا علي أن أفعل؟ فلو أن ذلك حقيقي فإن كل شيء قد انتهى ولن تعود للحياة مجددًا، هل علي إذن أن أسلم راضي للشرطة؟ كيف؟ ولماذا؟ في الحقيقة أنا لا أجد نفسي ملائما لدور المخلّص أو راعي العدالة، هل حقا كلنا راع وكلنا مسئول؟ انتزعني عم مرقص من أفكاري قائلًا:

-ما بك يا دكتور؟ لا تحمل الهم، هكذا بلدنا دائمًا والناس راضية والحياة مستمرة، أهم شيء الستر.

نظرت في عينيه، لا أعلم لم رأيت فيهما توتر ورنت كلمة "الستر" في أذني تاركة انطباع غريب، لم أترك نفسي لأفكاري التي قد تحولني لمريض وسواس قهري مخلص فقمت متكاسلًا واستأذنت عم مرقص لأكمل رحلتي لمنزلنا، منزل ياسين المصري.

حقيقة فنية

كلما كنت جادًا كلما انهالت عليك المتاعب، حاول تخليص البشر من همومهم، حاول الوصول للحقائق ثم ثبت نفسك جيدًا في كل خازوق حي يضعونه في مؤخرتك، لا تقم بدور المخلّص ببراعة إذن بل كن كومبارس جيد ومثل أن الخازوق لا يؤلمك لكن إن لم تحتمل الألم لا تتصنع البطولة وابتعد سريعًا.

لاح لي منزلنا الأبيض الراقي وسط المنازل يختال في منتصف البلدة ليدل على وجاهتنا وما ورثناه من أبي رحمة الله عليه، رائحة تقلية قوية وطبيخ طازج تفوح من الدار داعبت معدتي الجائعة لتصل بها لقمة النشوة التي قد تجعلني أهرول مسرعًا نحو الدار لألتهم أي شيء أمامي لكن عيون حادة تطلعت في، عيون راضي الديب جاري، أمام دارهم الحمار الطيب مربوط في خنوع مطأطئ الرأس كرجل تخونه زوجته ويعلم بتفاصيل الخيانة ولا يستطيع عمل شيء، جلس راضي على دكة خشبية قديمة وبيده علبة المضغة السوداء الكريهة يلتقط منها حفنة ثم يمضغها جيدًا لمدة لا تقل عن دقائق ثم يتفلها فوق الأرض في فظاظة زادته غلظة فوق غلظته، لا أعلم ماهيتها تلك المضغة الغامضة فهل هي تبغ خام أم نوع آخر من أنواع الكيوف الرخيصة، مرآه دوما يؤرقني ربما لما كان يحدث بيننا من شجار ومشاحنات وخلافات في الصغر وربما لطبيعته اللئيمة الصامتة، اقتربت منه وألقيت السلام فلوح لي بيده في برود محييًا ومددت له يدي فترك علبة المضغة وسلم علي بفتور واضح لا أعلم له سبب منذ عرفته، ربما هو التعليم فأنا الطالب النظيف النجيب ثم الدكتور الوسيم محط أنظار الجميع منذ صغري للآن، ابن الشيخ المصري القطب الصوفي الرهيب الذي يهابه الجميع ويعمل له ألف حساب أما هو فقد شغلته أحقاده ومشاجراته وكيوفه عن نفسه وترك التعليم كما ترك أرضه تتدهور ويبور معظمها ربما لذلك يكرهني وربما هناك أسباب أخرى بالتأكيد تتعلق بسماجة راضي

ويشاعة خلقه وسحنته. جلست على الدكة بجواره محاولًا فتح حوار عقيم معه:

-سلامات يا أبو الديب، كيف الحال؟

أجابني في فتور دون أن يتحرك من مكانه: تمام يا أبو الدكتور.

-سمعت سميرة خطفت، خير لا قدر الله؟

نظر إلي بطرف عينه واقترب مني قليلًا:

-خطفوها جن يا أستاذ، كانت ملبوسة والجن قتلها وحرقها.

-من قال لك هذا الكلام؟

اعتدل في جلسته متحدثًا كالعالم ببواطن الأمور مضيقًا عينه اليسرى قليلًا كمن يخفي سرًا عظيمًا:

-منذ سنوات وهي تعانى نوبات اللبس السفلي، عانينا منها كثيرًا جدًا وعندما فاض الكيل ذهبنا بها للشيخ أبو العزايم-جزاه الله كل خير-أخبرنا بنية الجن في خطفها وعندما عدنا بها من عنده نمنا الليل لنستيقظ ولا نجدها بالدار.

نظرت له غير مصدق لما يهذي به:

-ربما أبو العزايم هو من خطفها؟

راح يلوك المضغة السوداء في فمه ثم بصق بعيدًا وقال:

-ماذا قلت يا دكتور؟ الشيخ أبو العزايم؟ إنه رجل طيب، بعدما اختفت بيوم ذهبنا عنده وفتح المندل وسخر جنوده وعرف اسم الجن الخاطف.

اقترب مني برائحته الكريهة مردفًا بصوت خافت:

-هل تعرف؟ إنها جنية وليس جن. كانت تغار من جمالها فخطفتها وقتلتها عندما علمت بأن سيدنا أبو العزايم سوف يؤذيها.

نظر لي بحزم ثم عاد للمضغ من جديد قائلًا من بين أسنانه ومزاجه الغريبين:

-الله يخليك، قلبي يتقطع لذكراها، الله يرحمها.

لم أعلق على كلماته الجافة التي لم تبتل حتى بشيء من الحزن وتركته قاصدًا منزلنا وقد عافت نفسي الطعام كما أنني عقدت العزم على زيارة قريبة لأبو العزايم، سيدهم كما يقولون.

عند المغرب، ارتديت جلباب مريح وتوجهت نحو منزل أبو العزايم. يسكن أبو العزايم في منزل صغير بأطراف البلدة محاط بسور من الطوب اللبن والطين وسعف النخيل، عادة يخشى أهل النجع الذهاب أو الاقتراب من المنزل لكن من له حاجة فيذهب مضطرًا. يعلو السور عدد من الجماجم البشرية والحيوانية والتي لا أعلم كيف حصل عليها وتزين السور متدلية منه وكأنها تنظر للقادم وتحذره. بوابة صغيرة من الخشب تتوسط السور، دفعتها لأسير في الساحة الترابية أمام المنزل، طرقت الباب الخشبي الأمامي ففتح لي شاب صغير:

-السلام عليكم، هل من الممكن أن أقابل والدك يا بني؟

-من أنت؟

-أخبره بأنني دكتور محمود المصري.

نظر لي الشاب في ريبة متسائلًا:

-فيم تريده؟

-شغل إن شاء الله.

مددت يدي في جيبي ثم نقدته ورقة فئة الخمسين جنيه فانفرجت أساريره عن ابتسامة صفراء وأزاح الباب لأدخل. دخلت وجلست على الكنبة الاستانبولي القديمة التي تتوسط ساحة الدار واستقرت في أنفي رائحة بخور كريهة، لم أكن أعلم أن هناك بخور كريه الرائحة كهذا، نظر لي الشاب نظرة غريبة فسألته:

-خير، ماذا تريد؟

-أريد نفحة للوالد.

-كم تريد؟

-200 جنيه، 100جنيه، أنت وكرمك.

نقدته ورقة فئة المائة جنيه ليعطيها لوالده النصاب فلا سبيل آخر للقائه. أخبرني أن انتظر حتى تنتهي الجلسة. مرت دقائق ثم سمعت صرخة طويلة وحادة يبدو أنها لامرأة، دخل الشاب الغرفة ليخبر والده عني وما هي إلا دقيقة أو أقل حتى خرج تاركًا باب الغرفة مفتوحًا مما جعلني أشاهد كل ما كان يحدث فيها ولم أعرف هل كان هذا مقصودًا لإرهابي أم أنها مصادفة، الفضول جعلني أنظر للداخل، كانت هناك فتاة مراهقة بحوالي الخامسة عشر من عمرها مقيدة

من يديها وقدميها وبجوارها تجلس امراة كبيرة في السن ربما هي والدتها، الصراخ عاد من جديد ينطلق من حنجرة الفتاة وكلما قرأ أبو العزايم كلما ازداد صراخ الفتاة، شعرت أن الفتاة بحق ملبوسة ولكن هل علاجها حقا عند هذا الرجل؟ وان لم يكن عنده فأين يكون؟ لا أعترف بمثل هذا الدجال الذي يطلقون عليه شيخ ولكن أهل الفتاة يبدو عليهم الجهل فمن أين لهم بعلاجها وهل علاجها عند طبيب أم بقراءة القرآن؟ الكثير من الأسئلة درات برأسي وأنا أطالع الفتاة تتألم عند سماعها لكلمات معينة من هذا الرجل فبماذا عساه يتمتم؟ أتعاويذ شيطانية هي أم أنه كاذب وربما الفتاة تعاني مرض عصبي فلقد رأيت بحكم تخصصي الكثير من الحالات العصبية المشابهة لحالتها فمثلًا مرض الصرع تصحبه ذات العلامات وردود الفعل المصاحبة للمسموس فنجده يصاب بتشنج الأعصاب والإغماء وشخوص البصر واحمرار العينين وانتفاخ منطقة البطن والقيء والاهتزاز والرجفة وتغير الصوت وإصدار الأصوات الغريبة لكن هذه الفتاة تتحدث الآن وتشخص بعينيها في كل مكان، لا إنها تنظر نحوي بحدة وعيناها تحملقان في بكره شديد، كانت الفتاة تتحدث بلغة غير مفهومة وصوت رجولي غريب ورفعت يداها نحوي ثم صرخت صرخة طويلة حادة وسقطت مغشيًا عليها بين يدي والدتها وعندها نظر لي أبو العزايم نظرة غريبة لم أفهمها وكأنه يتهمني بالتواطأ مع شخص ما ضد الفتاة أو ضده، ارتبكت وأشحت بوجهي عنهم فربما يكن كل ذلك مدبرا لبث الرعب في لكن كيف علم بقدومي وحضر

كل ذلك ؟ خرجت المرأة تبكي واحتضنت الفتاة التي جرجرت ساقيها وتحاملت على كتف والدتها لتمشي لكنها لم تنس أن ترميني بنظرة حادة قبل خروجها.

هدأ الجو ومرت دقائق بعد خروج الفتاة ووالدتها ثم سمح لي الشاب بالدخول لغرفة الدجال، جو الغرفة مقبض وغريب فعلى الحوائط وعلى الأرض وضعت بعض ورنات وتماسيح صغيرة وكبيرة محنطة مثل تلك الموجودة على أبواب بعض البيوت في النجع هنا لكنها كانت في غرفته كثيرة ومقززة وتحمل أوضاع مختلفة، كان هناك أيضًا عدد من الكتب القديمة صفراء الورق والموضوعة على رف باهمال، درت بعيني في الغرفة فالتقيت برسوم غريبة على الحوائط، نجوم خماسية ورجال ونساء عراة ورؤوسهم عليها قرون وعلقت أوراق على الحائط كتبت عليها رموز تشبه تعاويذ سحرية وطلاسم ربما تكن حقيقية أو مجرد تخاريف لإيهام الزبائن. لم يرتد أبو العزايم خرز وملابس مميزة كما نرى في السينما لكنه كان يرتدي عمامة خضراء وجلباب أخضر ويجلس يعد على سبحته الخضراء كذلك وفي عينيه لؤم وشر يكفي العالم كله لإعلان الحرب على إسرائيل والانتصار عليها لكنه قطعًا لا يعلن الحرب سوى على الغلابة من أهل البلد.

-تعال يا دكتور، قرب يا ولدي، أعلم بعلتك وإن شاء الله أريحك.

يبدو أن راضي الديب زاره قبلي ونبهه لقدومي، الوغدان يتفقان على تجهيلي، هناك أمر ما يعرفه هذا الخبيث ولا بد لي من معرفته. اقتربت منه وقلت:

-سميرة أخت راضي الديب، أين هي بلا مراوغة؟

ضحك فظهرت أسنانه السوداء الكريهة:

-ومالك أنت أيها الطبيب بهذه الأمور؟ بل مالك ومال النجع؟ ألم تذهب للقاهرة وتعلمت وبدلت ملابسك؟ عد للقاهرة يا ولدي ولا داع للمشاكل التي لا تعرف حجمها.

أمسكته من ملابسه وأخرجت المسدس الخاص بي من جيب الجلباب وصوبته لرأسه:

-تحدث الآن أو قتلتك ولا دية لك عندي.

حاول التملص من قبضتي لكن كبر سنه لم يسعفه، تحدث بصوت مخنوق قائلًا:

-الأمر لا يخصني، اسأل راضي عن أخته الفاجرة التي طفشت مع أحدهم وأنا سترت عليها.

-إذن لا يوجد جن ولا جنية وأنت من اختلق القصة؟

تمسكن قائلًا:

-راضي هو من طلب مني ذلك، طلب أن أستر عليهم وأنا كل غرضي الخير والستر يا ولدي.

ألقيته أرضًا وأعدت المسدس لجيبي فليس هذا من يستحق الرصاص الآن ربما هو راضي أو غيره، خرجت من فوري عائدًا لمنزلي ألتمس فيه شيئًا من الراحة والنوم.

* * *

الفصل الثّالث

العذاب امرأة

كثيرًا ما نظرت في المرآة وسألت نفسي: هل أنت مصاب بعقدة أوديب؟ أم أنك أسطورة أخرى؟ ربما كانت والدة أوديب تحبه، تعطيه الحنان لكن عقدتي تختلف تمامًا فوالدتي تخبئ الحنان تحت غلاف سميك من العذاب والصمت والكثير من الطعام الجيد والقليل جدًا من التواصل.

دخلت منزلي مرهقًا محيرًا لا أعلم ماذا أفعل، هل أترك قصة راضي الديب وأخته وأغادر للقاهرة؟ ربما أتناسى القصة في شيء آخر، فكرت في تصفح الفيسبوك وتمضية الوقت بعيدًا عن أفكاري لكنني كنت أخشى من تأثير نهى وكذلك كنت أرغب في معرفة تأثير غيابي الافتراضي عليها أو تأثير الجوع فللجوع عدة أشكال وألوان، الجوع ليس فقط جوع الطعام، الجوع مادي وعاطفي ونفسي وفكري وعندما تريد غسل مخ ما، عليك بتجويعه أو تجويع الجسد الذي يحمله. لماذا تركتني أمي جائعًا هكذا؟ جائعا لامرأة، لشيء من حنان وليس للطعام، ربما لتستطيع القاء الأوامر علي وتضمن تنفيذي لها وربما لأنها لا تملك شيئا من حنان أو لديها من الهموم ما يمنعها من التعبير عن عواطفها أو أنهم غسلوا لها عقلها يوما وأخبروها أن الأم يجب أن تكون قوية ولا تظهر عواطفها حتى تسيطر على أبنائها. ليست امرأة

عجوز فأمي في الثالثة والستين من عمرها وبصحة جيدة لكن منذ عرفتها وهي تملك روح عجوز حكيمة، ربما تأثرت بعد وفاة والدي وأخي الأكبر لكن لا أتذكرها مرحة أو حنون قبل ذلك. واجهتني أمي بوجهها المتجهم دائمًا:

- أضع لك عشاءً يا ولدي؟

-نامي أنت يا أمي، لست جائعًا.

تركتني وذهبت لتنام، كثيرًا ما حاولت وضع نفسي بدلًا منها والتفكير كما تفكر هي، أشعر قوتها والتي ربما تبدو لي قسوة أحيانا كثيرة، دائمًا النساء هن سبب العذاب في هذا العالم وهن سبب السعادة، يصنعن الشقاء حتي يستطعن إزالته وخلق الفرح من جديد والحصول على المجد. دائما العذاب امرأة، ربما تكون والدتك، أختك، صديقة، حبيبة أو محبة أو مديرة أو زميلة عمل ويكن الفرح امرأة أخرى ربما تكون والدتك، أختك، صديقة، حبيبة أو أي منهن أيضًا.

مررت بغرفة أختي ريهام، كنت أود الحديث معها فسميرة الديب في عمرها تقريبا تدرس في مدرسة التجارة وأختي طالبة ثانوي عام متفوقة لكن البنات هن البنات مهما تفوقن فالثرثرة مكون رئيس في كل منهن وربما تعرف ريهام شيئًا ما، كانت نائمة كالملائكة فتركتها وذهبت لغرفتي ورحت في النوم سريعًا.

مرة أخرى تواجهني أحلامي مبتسمة ساخرة تقول لي في برود: "ها هي الحقيقة فماذا ستفعل؟"

في تلك الليلة علمت ما لم أكن أعلمه، علمت مقدرتي على اختراق أحلام الغير، رؤية أحلامهم في داخل حلمي، التحكم في أحلامهم وأحلامي وتوجيه مسار الحلم كما أريد بسيطرة عقلي الواعي على مجال عقلي الباطن، كنت مرهقًا جدًا فابتلعت عدد من الحبوب المنومة ومسكن ومهدئ للأعصاب رغم علمي بالتأثير السلبي لهذه الحبوب لكن ربما كما يقولون: "باب النجار مخلع"، استغرقت في نوم عميق ورأيت راضي الديب يضرب حمادة الشريف صديقي ويتهمه بخطف سميرة، في تلك الأثناء شعرت وكأنني مقيد لا يمكنني القيام بأي فعل كعادة الشخص حينما يكون ذلك وضعه في الحلم، وجدتني أفكر: " أنا في حلم راضي ولست في حلمي، سأحاول ان أتحرك وأقوم بشيء فعال داخل الحلم، اقتربت وحاولت إبعاده عن حمادة الشريف وسؤاله لماذا يضربه، اقتربت منه وجذبته نحوي:

-ابتعد عنه يا قاتل، أنت من قتل سميرة لقد رأيتك في حلمي.

-جحظت عيناه وذهل قائلًا: " ماذا جاء بك هنا وماذا تريد؟ لماذا تدخل في حلمي أيها الغبي؟" أجبته في سرعة: "ما هذا؟ هل أنا في حلمك الآن؟ أنا لا أفهم شيء؟ لماذا قتلت سميرة؟ أخبرني بالحقيقة فربما ساعدتك."

لطمني على وجهي فاستيقظت وأدركت أنني ما زلت أحلم لكنني الآن في مجالي العقلي، في حلمي الخاص، كنت أحلم بنهى عصام ووجدتها فرصة جيدة لتمضية وقت رائع معها في الحلم، تمنعت علي ولم تستجب لقبلاتي، كنا في شارع غريب قديم يشبه شوارع

مصر القديمة، الشمس حارقة والنور يضيء المكان كله، المكان فارغ من الناس به بعض المباني والتفاصيل التي لا تهمني، فكرت وأنا في داخل الحلم أنني ربما أعطي بعض الاهتمام بتلك التفاصيل التي ربما قبل ذلك لم أكن انظر لها وأنا في داخل الحلم، جلت ببصري وركزت عقلي جيدًا فوجدت حمام نسائي شعبي وفندق قديم ومطعم، كانت الشمس حارقة وصوت النساء مثير من داخل الحمام، نظرت لنهى التي تتمنع علي ودخلت حمام النساء، لم أدع لنفسي فرصة في التفكير فجذبت امرأة رائعة الجمال ولم أتركها حتى انتهيت منها وارتاح جسدي، فوجئت بنهى خلفي ومعها سكين لامع تهرول نحوي لتنقض علي، تيقظ عقلي الواعي واستيقظت فورا قبل أن تمسني. فتحت عيني لأجد الشمس تملأ الغرفة وصوت والدتي فوق رأسي:

-نحن في الظهر يا محمود، اصح يا ولدي، هناك ناس تريدك.

فركت عيني كسلًا فقد كنت في حالة من الاسترخاء التام والنشوة والراحة التي ربما لم أحصل عليها بهذا الشكل قبل ذلك:

-من يريدني يا أمي؟

-راضي ولد الديب مر عليك منذ ساعتين وقال أنه يريدك أن تمر عليه.

-راضي؟ طيب، إن شاء الله أمر عليه.

ذهبت من فوري لدار راضي والتي تقع بجوار دارنا من الناحية الشرقية، كنت أريد معرفة وضع غرفة نوم راضي من غرفتي وكيف

حدث اختلاط الحلمين معًا وما هي الآلية الصحيحة للقيام بذلك، إن كان هناك آلية حقيقية فيجب معرفتها ولكن قبل ذلك كنت أود التأكد عن طريق راضي نفسه، طرقت الباب فخرج لي راضي وجلسنا سويًا، نظرت في عينيه مباشرة، عيناه متوترتان، نظر لي في قلق:

-أنت تظن أنني قتلت أختي، أليس كذلك؟

-إذن أين اختفت؟

-لقد حلمت بأني قتلتها وواريتها الجبل، لكنها هربت والله وحده يعلم أين ذهبت!!

-ماذا يعني ذلك؟ إذن ذلك الحلم الذي شاهدته هو حلمك بالفعل!!

-ماذا رأيت؟

-رأيتك تقتلها وتواريها الجبل.

-كيف حدث ذلك؟ أنت مكشوف عنك الحجاب!! أبوك رحمة الله عليه كان قطب وعلمه بين!! هل تعلم؟ أنا أيضا حلمت بك ليلة أمس وأخبرتني أنك ستساعدني، هل ممكن تساعدني فعلًا؟

نظرت له في شفقة ووجل وسألته:

-احك لي تفاصيل الحلم، أريد كذلك أن أعرف أين تنام وبأي اتجاه.

بعدما حكى لي راضي تفاصيل حلمه والتي تطابقت تقريبًا مع حلمي تأكدت من شيء غريب جدًا، بعض الأحلام التي كنت أراها

هي أحلام لآخرين تختلط بأحلامي عن طريق آلية ما لا أعلمها فرحت أبحث عن التقنيات التي يمكنها زرع معلومة ما في داخل العقل الباطن عن طريق الحلم، ربما كان راضي يريد في عقله الباطن طلب مساعدتي للبحث عن أخته فراح عقله الباطن يزرع المعلومات في عقلي الباطن من خلال الحلم مثلا، أخذت وعد من راضي ألا يقترب من حمادة الشريف أو يحاول إيذاءه حتى أعرف أنا الحقيقة. رأيت في عينيه خوف لأول مرة منذ عرفته، هل هو خائف من الفضائح أم من حمادة وعائلته؟ هل هو خائف مني أم خائف على أخته لم أعرف تحديدًا.

عدت لدراستي عن كتاب "كيف تصنع مريضًا" ورحت أبحث في التقنيات المختلفة المذكورة في الكتاب لغسيل الدماغ وزرع المعلومات فتوقفت عند تقنية وهي:

الإقحام المعرفي

أعددت مسودتي وفتحت اللاب توب الخاص بي ورحت أدون:

بحثت كثيرًا عن الإقحام المعرفي في الكتب العربية والمجلات المتعلقة بعلم النفس والدوريات والنشرات العربية فلم أجد الكثير، رحت أبحث عن cognitive interference فوجدت ما يلي:

-يذكر ساراسون وآخرون، (1992) أن الإقحام المعرفي يحتل المكانة الواقعة ما بين الذكاء وشخصية الفرد حيث من الممكن ارسال معلومات جديدة تمحي سابقها من المعرفة ومن ثم نسيان

معلومات قديمة وزرع معلومات جديدة، يذكر كذلك د. حجازي، (2016) نظرية الإقحام بمسمى آخر وهو نظرية التدخل ويشير بأنه عندما يتعلم الفرد الجديد من الخبرات أو يتم اقحامها داخل عقله فإنها تطغى بشكل ما على السابق مما تعلمه كما يجب أن يكون الإقحام ذو علاقة بخبرة تعليمية أو حياتية سابقة لا يبعد زمن حدوثها كثيرًا عن زمن حدوث الإقحام، يذكر حجازي، (2016) كذلك نظرية الاسترجاع ويشير لأن هناك في قاع الذاكرة الكثير من الذكريات الغير مدركة من قبل العقل الواعي لكنها موجودة في العقل الباطن وهناك درجة ما لتذكرها ومن هنا يمكن الحصول على تلك الذكريات عن طريق إقحام معلومة ذات صلة بها لتنشيط الذاكرة ويكون الإقحام عن طريق مفاتيح معينة تتصل بتلك الذكريات في العقل الباطن ويمكن الإقحام بشكل مباشر عن طريق التلقين والتعليم أو بشكل غير مباشر عن طريق الإيحاء وارسال الإشارات التي تنشط الذاكرة.

تذكرت في تلك اللحظة تقنية للعلاج النفسي دائمًا ما نستخدمها وهي تقنية التدخل المعرفي لمرضى الاكتئاب فنحن نقوم بإعداد مريض الاكتئاب لتلقي معلومات جديدة عن نفسه وعن مرضه ربما أنه لا يدركها وباستخدام الجلسات الفردية والجماعية يمكن للمريض التعايش مع مرضه والاقتناع بأنه هناك الكثير ليفعله بعيدًا عن الاكتئاب ومن ثم تختفي أعراض المرض بالتدريج، لم أجد رابطًا مقنعًا بين الإقحام المعرفي وما حدث لي سوى أن هناك معلومات في عقل راضي يريد إدخالها لعقلي عن دون وعي منه وقد حدث اتصال

بين عقلينا تم من خلاله اقحام المعلومات وتنبيهي لها، ربما يشابه ذلك ما حدث بيني وبين نهى لكن نهى كانت تريد ذلك أما راضي فقد شعرت أنه لا يريد تدخلي في أموره ولكن يريد مساعدتي. إذن هناك تقنية ما تمكن العقول الباطنة من التواصل دون تدخل العقول الواعية نهائيًا برغبة من صاحبها أو دون رغبة، في تلك اللحظة تذكرت مشهدًا قديما لشجار بين راضي الديب وحمادة الشريف وتذكرت كذلك أن حمادة الشريف كان يميل كثيرًا لسميرة عندما كنا في سن المراهقة وكانت هي مجرد طفلة جميلة وكثيرًا ما تشاجر معه راضي حتى لا يحادثها أو يشتري لها الحلوى، المشهد تشابه كثيرًا مع الحلم الذي رأيت، اهتز تفكيري وقررت محادثة أستاذي جاكوب شرودر بألمانيا فهو يتابع معي دراسة الماجستير خاصتي ويوليني اهتمامًا خاصًا منذ كان يقدم محاضرات خاصة بكلية الطب كأستاذ زائر ووعدني بزيارة قريبة لمركزه الخاص للعلاج والتأهيل النفسي بألمانيا، لم أجد خيارًا أسهل من الفيس بوك ماسنجر للتواصل معه وعندما فتحت رسائلي فوجئت بعدة رسائل من نهى، يالله لقد تم تنفيذ ما أردت تمامًا وتعلقت الفتاة بي بل وتبحث عني في قلق وتسأل عما كنت أريده منها بل وتعتذر عن انشغالها عني، أجبتها برسالة مقتضبة وشكرتها على سؤالها عني وأنني مشغول مع أهلي في الصعيد وقريبًا جدًا سأتواصل معها لتحديد موعد لمناقشة العمل الذي أريده منها، راسلت أستاذي الذي دهش كثيرًا لحديثي عن قدرتي في الدخول لأحلام الغير واستطاعتي التلاعب بمسار الحلم وتغيير ما يحدث فيه عن شيء من وعي أثناء النوم وأخبرني أنه لابد من إجراء تجارب

كثيرة ولابد من سفري لألمانيا بأقرب وقت لإجراء تلك التجارب تحت إشرافه. أنهيت حواري معه وتركت الرسالة لنهى ورحت أفكر في راضي الديب وعلاقته بحمادة الشريف، هل من الممكن أن يكون حمادة هو المتهم الحقيقي والمجرم الذي أودى بحياة سميرة؟ كيف ذلك ولماذا؟ أين أنت يا سميرة؟ من الذي عساه يتعذب بك الآن؟ أنا أم أخوك راضي أم أنه حمادة الشريف؟

تناولت غدائي مع ريهام الملاك الصغير الذي يظلل المنزل بالضحكات والسعادة، إن كان العذاب امرأة فالسعادة أيضًا امرأة ذات وجه طاهر بريء كوجه ريهام. شربت معها الشاي وجاذبتها أطراف الحديث عن سميرة:

-أخبريني يا صغيرتي الشقية، أنت في عمر سميرة الديب، ماذا تعرفي عنها هي وحمادة الشريف؟

اعتدلت في جلستها فجأة:

-لا أعرف شيئًا عنهما، الناس تقول الجن خطفتها، لماذا تسألني أنا؟

-هي صديقتك؟

-لا طبعا، لكنني أعرفها، بعض البنات تقول أن حمادة كان سيتقدم لخطبتها وبعضهن تقول...

سكتت فشجعتها:

-ها، بم تثرثر الفتيات أخبريني لا تخجلي مني؟

-أبدا، يقولون كانا يتقابلان في المركز، الله أعلم، استغفر الله.

-بينهما علاقة حب مثلًا؟

-الله اعلم، هذا أمر لا يخصني ولا صلة لي به.

نهضت من مكانها وذهبت لترى والدتنا، علمت أن هذا نهاية الحوار وعلى ألا أتحدث فيه أكثر من اللازم فالتواصل هنا ليس سهلًا في كل الأوقات ولا كل الموضوعات ولو كان مع ملاك مثل ريهام.

"الرهبة" ساحة واسعة يجتمع عندها رجال النجع يتصلون بها اتصالهم بأمهاتهم وأهلهم، يغيبون عنها ليعودوا، بها شيء من أمان وراحة بال كتلك التي أشعر بها عند مطالعة وجه أمي المتجهم، الرهبة قاسية كأمي وطيبة تقدم لنا الأمان مثلها تمامًا وتفتح قلبها للجميع. الرجال يقيمون المآتم أو الأفراح في الرهبة، يعقدون بها جلسات الصلح والاحتفالات وفيها يجلس كبار القوم والعائلات لإنهاء مشاكل الثأر وعقد الاتفاقات وما شابه ذلك من أمور ضرورية لأهل النجع، في "الرهبة" الواسعة يلعب الأطفال وهناك علي مقربة منها يسكن حمادة الشريف ابن السادة الأشراف أو "الشرفا" وعائلات الأشراف من أعرق وأنبل عائلات الصعيد. حمادة صديق شخصي لي وأعرفه جيدًا رغم أنه يصغرني بعدة سنوات، من الصعب أن يخون، أن يقتل فتاة، أن يدلس أو يهتك عرضها ليس فقط لرقي خلقه ولكن إن فعل فالعار سيصيب عائلته كما سيصيبه. وقفت قليلًا في الرهبة وطالعت الفتيان يتصايحون في مباراة لكرة القدم، التقطت الكرة بقدمي وألقيتها لأحد الأطفال الذي صاح فرحًا برمية قوية ساعدته في تسديد هدف ثم توليت من فوري نحو منزل حمادة الشريف الذي ربما لا يتوقع زيارتي فلم أتصل به قبلها حتى يكون حديثي معه مفاجئًا بلا ترتيب، استقبلني بترحاب الأصدقاء وتبادلنا الأخبار والأحاديث

الخفيفة ثم باغتته بالسؤال:

-ماذا تعرف عن سميرة وحكايتها؟

احمر وجهه ثم انتفض وهمَّ خارجًا من الغرفة وعاد بعد دقائق حاملًا معه الشاي والفاكهة وقد بدا مظهره طبيعيًا عما كان منذ قليل:

-تفضل.

-شكرًا، ألا تعلم شيء عن موضوع خطف سميرة؟

تساءل في لؤم وبرود:

-سميرة؟ من سميرة؟

-أخت راضي الديب.

نظر بعيدًا ثم قال في هدوء متعمد:

-لا أعرف شيء، أخوها يقول جن خطفوها ولكنني لا اعتقد ذلك، هذه بنات فاجرة ربما هربت مع رجل، بنات عشق وغرام لا أصل لهن.

شعرت بغضب فأجبته بقوة:

-لم تقول ذلك؟ ألأنهم ناس غلابة؟ ربما هم فقراء لكن لهم أصل وأنت تعلم ذلك جيدًا، احذر من الكلام هكذا، جميعنا لديه أخوات بنات.

-أتقارن هذه ببناتنا؟

-لم تقل ذلك؟ هل لديك دليل على انحرافها؟ لقد وصلني كلام أنك كنت على علاقة ما بها وقابلتها في المركز كذلك أكثر من مرة.

نظر لي في بلادة وعيناه الخضراوتان متصلبتان كعيني ثعبان ينوي الانقضاض:

-وهل هناك مشكلة في ذلك؟ الأمر عادي وفعلته مع كتير من البنات وأنت تعرف طبعي، الرجل لا يعاب بل البنت، البنت التي تربت جيدًا في بيت أهلها لا تعشق ولا تحب ولا تخرج مع غريب وبالنهاية تهرب مع آخر. هذه تستحق القتل.

نظرت له وتفرست جيدًا في ملامحه علني أجد شيئًا يلهمني للصواب لكنه كان يدخن ويتصفح هاتفه ويضحك بلا أي اهتمام، ربما كان على علاقة معها وحدث شيء ما جعله يتنصل من مسئوليته بالزواج منها فقتلها ليرتاح منها ومن توابع فعلتهما، حمادة متعدد العلاقات السريعة مع البنات لكن لم يحدث وأن تمادى مع إحداهن أو تورط في علاقة أو ذلك ما أعرفه فقط! شخصية غريبة متناقضة يتقرب من البنات ويجذبهن بوسامته ويتعرف عليهن ويخرج معهن بحجة الحب ثم يتركهن بحجة أن من تخرج معه تعد سيئة السلوك ولو أحبته، يبدو لي صالحًا جدًا كأحد قيادات داعش فلم لا يقتل؟

تركته ثم توجهت لغرفتي حائرًا لا أجد للنوم بديلًا، مهلا لكنني لن أحلم اليوم بل سأحاول اختراق حلم حمادة فهل أستطيع؟

كان الوقت ما زال مبكرًا فشرعت أبحث في الفرق بين الحلم والرؤية وراجعت بعض نظريات استخدام الحلم في العلاج النفسي التي قلما استخدمتها في عملي الفعلي لكنني شغوف باستخدامها طالما تصلح بالفعل للسيطرة على العقل الباطن ومخاطبته وتوجيهه، قرأت في العديد من الكتب والدراسات وعدت لكتاب "نشط ذاكرتك وتخلص من النسيان" للدكتور أحمد حجازي، (2016) حيث ذكر

نظرية غاية في الغرابة والعجب وهي نظرية :"المجال التكويني" للعالم الأمريكي روبرت سيلدريك ويشرح حجازي في كتابه كيف أن تلك النظرية هي واحدة من أحدث نظريات تفسير الذاكرة وكيف أن الصحافة العلمية قد هاجمت صاحب النظرية القائلة بأن نمو الكائنات الحية يخضع لمؤثرات من خارجها وليس من داخلها فقط فمثلًا للانسان مؤثرات خارجية تؤثر عليه وهي موجودة في الطبيعة بهيئة مجالات مختلفة يمكن للانسان التأثر بها باستقباله لها تمامًا كما يحدث في الإذاعة بحيث أن كل إذاعة تبث برامجها بأطوال موجات مختلفة ويمكن لجهاز الراديو التقاط مجال الإذاعة عند ضبط مؤشرها عليه أينما كان ويشير أن في الإنسان يوجد جهاز استقبال وإرسال كذلك في المخ يمكنه استقبال الأفكار وتفسيرها لأن الأفكار والذكريات طاقة لا تتبدد ومن هنا يمكن لعقل مخاطبة عقل آخر دون تدخل مباشر. فكرت في هذه النظرية وكيف يمكن استخدامها وتطبيقها على العقل الباطن باعتباره الأسهل للتأثير عليه خاصة في أضعف حالاته عند النوم ومن هنا قررت القيام بتجربة الاستهواء الذاتي لاختراق العقل الباطن لحمادة الشريف وقمت بتسجيل عناصر التجربة لأجل تسجيل نتائجها و إرفاقها بالبحث الخاص برسالة الماجستير:

* * *

تجربة الاستهواء الذّاتي

تناولت حبيتين منوم ثم بدأت بعملية تصفية ذهني وذلك باعطاء الأوامر لعقلي الواعي بالصفاء وطرد المشوشات ورحت أردد بيني وبين نفسي:

"استرخ أيها العقل المرهق واترك العنان لعقلك الباطن ليتصرف كما يريد، راقبه جيدًا ولاحظ ما يفعل وأين يذهب، تذكر جميع التفاصيل في حلم حمادة الشريف ولاحظ طبقات الحلم جيدًا، تذكر أن ذلك حلم وتصرف كما يجب التصرف، حاول الحصول من الحلم على أكبر قدر من المعلومات."

استغرقت في النوم، وجدتني في حفل صاخب بمدينة جميلة، معدتي متنبهة وجائعة، الطعام مكوم فوق الطاولات شهي طازج ذو رائحة مميزة، مددت يدي لأتناول قطعة حلوى شهية فتذكرت أنني أتبع نظام صحي ولا أتناول الحلوي لكن تنبه عقلي الواعي وذكرني أنني في حلم ويمكنني التهام الطعام كما أشاء وحتى أشبع، جلست بين الناس ورحت ألتهم كل ما تطاله يدي من لحوم وفطائر وحلويات واستمتعت بكل قطعة طعام في فمي وكأنها حقيقية وطازجة، التفتت خلفي لأرى حمادة الشريف، مددت يدي لأسلم عليه فوجدته يتهرب مني، في يده فتاة جميلة لم أتعرف عليها جيدا حيث كانت توليني

ظهرها، تبعتهما فوجدت حمادة ينفرد بالفتاة ويخبرها بشيء ما، أصخت السمع لأجده يقول لها:

-أنا أحبك وأريد الزواج منك لكنني لا أعرف ظروف أهلي، ربما يمكنني إقناعهم بالزواج قريبًا لكن دعينا نستمتع بالحفل.

كانت الفتاة مطرقة برأسها فرفعته ونظرت له، عرفتها على الفور هي سميرة الديب أخت راضي، بدأ اللغز في الكشف عن نفسه حين قالت:

-لا أستطيع أن أستمتع معك، اتركني الآن أعود لمنزلي.

جذبها من ذراعها بقوة:

-لن أتركك.

ابتعدت سميرة عنه فناداها:

-ما رأيك لو تقابلنا مرة واحدة، أعطيني فرصة لأبلغ أهلي وأناقشهم في الأمر.

ابتسمت سميرة:

-لا مانع عندي، متى وأين؟

-ثاني أيام العيد في المركز، اتفقنا؟

-ابتسمت سميرة وهزت رأسها علامة الموافقة.

ابتعدت في تلك اللحظة، سميرة اختفت ثاني أيام العيد، إذن كانت على موعد مع ذلك الوغد والتقى بها وقتلها لكن لماذا قتلها؟

لا يبدو من حوارهما أن هناك علاقة مشينة بينهما؟ حاولت فتح عيناي وسحبت نفسًا عميقا فاستيقظت لأجدني نائما في سريري ونهى نائمة بجواري، عرفت أن هذا حلمي الخاص، اقتربت من نهى فاحتضنتني ولم أكن أحتاج أكثر من ذلك لأستغرق في نوم جديد بلا أحلام بين أحضان نهى.

ألم شديد في معدتي، الجوع يضغط على عضلاتها فتنبه عقلي فأستيقظ على رائحة المقرن اللذيذة و"المقرن" هو فطير صعيدي مقلي تحشيه أمي بالسكر ثم تقليه وتضيف له العسل والقشطة، تنبهت لطرقات ريهام على الباب:

- صباح الخير يا دكتور، ألن تتناول إفطارك؟

استيقظت ووجدت والدتي بوجهها الجامد فقبلت يدها:

-صباح الخير يا أمي، سلمت يداك.

وضعت لنا الفطير على الطاولة وغادرت لغرفتها وجاءت ريهام بالشاي الساخن، رحت أفكر في الحلم وتذكرت بعض التفاصيل فجريت لغرفتي وسجلتها في ملف خاص بها وعدت أحتسي الشاي وأفكر، لو كان حمادة قد أحب سميرة بالفعل فهل يكون قد قتلها ولماذا لم يخبرني أنه كان على موعد معها يوم اختفاءها وهل قابلها أم لا، هل له يد في اختفائها؟ كان لابد لي من اتخاذ قرار وكان قراري واضحًا وهو إبلاغ الشرطة بكل ما لدي من معلومات. ارتديت ملابسي وعرجت ناحية منزل راضي الديب فوجدته كعادته جالسًا يمضغ أمام الدار

وبعد السلام سألته:

-هل قمت بإبلاغ البوليس؟

انتفض من مكانه:

-أنت تريدني أن أفتضح؟ لا، لم أبلغ ولن أبلغ.

تحدثت معه في قوة:

-قم بإبلاغ البوليس وسآتي معك، أعلم أنك تشك في حمادة الشريف، أنا كذلك أشك به والأفضل لنا أن نبلغ الشرطة بذلك.

-الأسهل من ذلك أن أقتله وأسترح.

انتفضت من مكاني وتركته وأسرعت ناحية منزل حمادة الشريف، لم أجده فتوقعت أنه بالمدرسة الاعدادية للبنين حيث يعمل معلما للتربية البدنية، وجدته هناك بالفعل، اقتربت منه لأجده ينظر لي نظرات قاسية:

-هل يمكنك أن تستأذن وتأتي معي، أريدك في أمر عاجل وهام.

ذهب واستأذن من مديره فالوقت إجازة ولا عمل فعلي في المدرسة ثم توجهنا لمقهى قريب من المدرسة وطلبت له الشاي والشيشة ثم سألته:

-أنت تعلم جيدًا فيم أريدك، لابد أن أعرف الحقيقة.

-أي حقيقة يا دكتور محمود؟

-أنت قابلت سميرة ثاني أيام العيد؟ ذلك اليوم الذي اختفت به؟

لم يجبني وترك المقهى وغادر في سرعة وهنا اتخذت قراري بإبلاغ البوليس. تقدمت ببلاغ لمأمور المركز التابع له النجع، شرحت فيه مسألة اختفاء سميرة الديب وشرحت كيف أن راضي يشك في حمادة الشريف واتهمت راضي بالتستر على اختفاء أخته بمساعدة أبو العزايم الدجال ثم شرحت للمأمور شكوكي نحو حمادة الشريف وتوقعي بأن يرتكب راضي الديب جريمة ضد حمادة، كان رد فعل المأمور حاسم وسريع فقد أجابني على الفور:

-ليس من حقك تقديم بلاغ مثل هذا، يجب أن يتقدم راضي الديب بالبلاغ.

صدمني رد فعله فالرجل لم يهتم باحتمال حدوث جريمة قريبة بنجع هو مسئول عن سلامة أهله ولم يهتم بنشاط الدجال ولم يهتم باختفاء سميرة من عدمه، كل ما يهمه هو الوضع القانوني، تركته واتصلت بعادل الشامي نقيب شرطة صديق لي في محافظة سوهاج، استمع لي في صبر ثم طلب مني الذهاب له فورًا، استقليت سيارتي وتوجهت حيث مقر عمله بمبنى المحافظة، كان شابًا خلوقًا طيبًا مخلصًا لعمله ذو مبادئ سامية يهتم لأمر الناس، مثقف وقارئ ويتحرى الحقيقة دائمًا، لم أخجل منه فرحت أسرد عليه قصة الأحلام كاملة، وجدت منه اهتمامًا حقيقيًا وسألني عن مواصفات سميرة فأخبرته بما أعرف، راح يخط عدة كلمات على ورقة ثم قال:

- الأحلام ليست بدليل ومن الممكن أن تكون الإشارات حقيقية ومن الممكن أن تكن وهم. المهم أن هناك فتاة مختفية بالفعل وأخ

غبي وحبيب من المحتمل أنه كان معاها فعلًا يوم اختفائها، دعك من أمر الدجال ولو أنه من المحتمل أن يكن له دور لو كان أخوها هو من قتلها ولكن الآن فلنركز على معلومة حمادة وهل كان معها فعلًا وما مدى علاقتهم ولكننا لن نستطيع أن نتحرك إلا لو قدم أخوها بلاغًا رسميًا للشرطة، هناك حل آخر قد يجبر راضي على تقديم البلاغ.

-ما هو هذا الحل؟

-تقدم أنت بلاغًا في سميرة أنها سرقت بيتكم وحصلت على ذهب من خزانة والدتك أو أي شيء ثمين آخر وتطلب شهادة راضي، لن ينكر عندها اختفاء أخته وبالتالي نجعله يقدم البلاغ.

تركته وأنا غير مقتنع بالفكرة فالفتاة لا ينقصها اتهام بالسرقة. عدت لمنزلي وقد راح الإرهاق يلاحقني كفيروس يلاحق خلايا جسد مريض، فكرت لماذا أنا مهتم بقصة سميرة وراضي وحمادة، فليذهبوا للجحيم جميعا، لقد حولتني الأحلام لمريض وضاعت عطلتي في محاولة للفهم. فتحت الفيس بوك لأجد رسالة من نهى، تحدثت معها وكانت لطيفة معي للغاية، ذات روح مرحة طيبة خلوقة جدًا لدرجة لم أتوقعها، كانت تحكي لي كيف أنها تجمع معلومات عني وتهتم الآن بعلم النفس، لم أبدو مهتما جدًا بما تقول لكنني كنت مهتم بها وبحديثها العذب، أرسلت لي عددًا من الصور المختلفة لها، امرأة رائعة الجمال وفي غاية الرقة والأنوثة، قضيت باقي عطلتي في هدوء واعتدت محادثة نهى يوميًا، كانت مثل البلسم الذي يضفي على يومي نعومة وحيوية لا مثيل لهما واتفقنا على اللقاء القريب،

وجدت في حديثي معها سلاسة لم أجدها من قبل في الحديث مع أي امرأة، حديثها يحمل روح الخيال ويأخذني لمناطق من اللذة العقلية والنشوة الجسدية التي لم أعتدها من قبل فكأنني مخدر أرقد على فراش ناعم من عذب الكلام ورقة الشعور ثم فوجئت في آخر يوم لعطلتي باتصال من النقيب عادل يبلغني فيه بالعثور على جثة فتاة في مواصفات سميرة الديب مع عدد من جثث لفتيات أخريات في منزل قاتل متسلسل اعتاد اختطاف الفتيات الشابات والاعتداء عليهن ثم قتلهن، كان يحتفظ بالجثث في منزله ثم بعد فترة يلقيهن خارجًا بالقمامة، عندما قبضت الشرطة على المجرم وجدوا ثلاث جثث لفتيات تحت سن العشرين وفتاتين ما زلن على قيد الحياة كان ينوي المجرم الاعتداء عليهن وقتلهن بعد ذلك. ذهبت من فوري لراضي الديب وأخبرته بما قال لي النقيب عادل فلم يصدق وأخذ يردد:

-أختي خطفها جن سفلي، لقد أخبرتكم كثيرًا، لماذا لا تصدقون؟

حدثته بهدوء ربما يتعقل:

-إذن لم لا تتأكد من الجثة التي وجدوها؟

رفض راضي مجرد محاولة التعرف على الجثة فذهبت لحمادة الشريف وأخبرته ولدهشتي وجدته يبكي دموعًا حقيقية، كان يحبها وظن أنها خانته وهربت مع شاب آخر فتقاعس عن البحث عنها واتهمها في شرفها ليرتاح، كانا على موعد للقاء عند نادي المحافظة وذهب فلم يجدها في ذلك اليوم، في ذلك اليوم المزدحم رأوها الناس

تذهب مع رجل غريب عن المنطقة مغشيًا عليها وأبلغ عن الحادث رجل وزوجته شاهدًا عملية الاختطاف كاملة لكن خشيا الخاطف ولم يبلغ راضي أو حمادة عن اختفائها فكان ما كان. خرجت وحمادة وتوجهنا لدار راضي حيث كان ما زال يردد ويصيح والناس متجمعة حوله:

-سميرة خطفتها الجن، الجن، الجن.

سحبه حمادة من ياقة جلبابه وتوجهنا نحو القسم وأدلى راضي بالبلاغ حول اختفاء أخته من ثاني أيام عيد الأضحى واتخذ المأمور اجراءاته وتعرف راضي على الجثة ليتضح لنا أنه كان برحمها جنين عمره أسبوع واحد. لم يحتمل راضي الأخبار وراح يصيح في وجهي:

-أنتم السبب، أنتم السبب، فضحتوني منكم لله. أنا أختي خطفتها الجن، خطفتها الجن. لم يمنعه ذلك من استلام جثة سميرة ودفنها في مدافنهم بالجبل ثم عاد ليردد في كل مكان:

-سميرة تحت الأرض، خطفوها جن، جن، جن.

ثم ظل هكذا حتى أخبروني أنه أصبح واحدًا من هؤلاء المجاذيب مشعثي الشعور الذين تمتلأ بهم شوارع قرى ومدن مصر المحروسة. أصبح راضي الديب مريضًا.

لا، راضي الديب ليس صناعتي أنا، ولا صناعة حمادة الشريف أو سميرة أو المأمور أو السفاح حتى، هو صناعة المجتمع الذي يعد المرأة عذاب لذويها، المجتمع الذي يتخذ من التنافر

المعرفي منهجًا يسير عليه فلا ضير أن يصدر لنا المرضى يوميًا. المجتمع الذي ينتهج التنافر المعرفي يستطيع تصدير المرضى كل يوم بلا بذل أي جهد فيقوم كل منهم بتحويل نفسه لمريض تلقائيًا مع تكراره لانتهاج التنافر المعرفي. هذا ما حدث مع راضي الديب وحدث جزئيًا مع حمادة الشريف الذي يقبل الحب ولا يحبذ الزواج ممن يحب وربما حدث معي أنا الباحث عن الحقيقة الذي ملَّ ولم يعرف طريقة للوصول لها فلم يرهق نفسه أكثر مما ينبغي لشخص في عطلة وراحة.

* * *

الفصل الرّابع:

«أين عقلي»

في فيلم "أين عقلي" كان محمود ياسين يقرأ في كتاب : "كيف تصنع مريضًا نفسيًا" ويحاول تحويل زوجته سعاد حسني لمريضة نفسية وبالتالي مريضة جسدية، نلاحظ كذلك أن محمود ياسين نفسه في ذات الفيلم مصاب بمرض نفسي متأصلة جذوره في عقله الباطن بعقدة قديمة ونرى كذلك كيف أن عناده وذكاءه أوصلاه للمرض النفسجسدي المرتبط بعقده ذاتها فمن صنع منه ذاك المريض؟ المجتمع؟ ربما.. أم أنه ساعد المجتمع بذكاء ورغبة في عقله الباطن في تحويله لمريض؟

المجتمع وحدة تتكون من أفراد، المجتمع الذي يصنع مريض يعتمد عليه كفرد في استحداث المرض وتأصيل جذوره في نفسه.

في الفصول المذكورة لكتاب: "كيف تصنع مريضًا" نجد فصل بعنوان: "التنافر المعرفي"، لفهم التنافر المعرفي ننظر في تعريفه:

التنافر المعرفي :بالإنجليزية(Cognitive dissonance) : في علم النفس، هو حالة من التوتر أو الإجهاد العقلي أو عدم الراحة التي يعاني منها الفرد الذي يحمل اثنين أو أكثر من المعتقدات أو الأفكار أو القيم المتناقضة في نفس الوقت، أو يقوم بسلوك يتعارض مع معتقداته وأفكاره وقيمه، أو يواجِه بمعلومات جديدة تتعارض مع

المعتقدات والأفكار والقيم الموجودة لديه.

تركز نظرية ليون فستنغر للتنافر المعرفي حول كيفية سعى البشر إلى خلق حالة من الاتساق الداخلي، ويميل الفرد الذي يواجه التنافر المعرفي إلى حالة من عدم الارتياح من الناحية النفسية، وينشئ داخله دافع لمحاولة الحد من هذا التنافر، وكذلك التجنب النشط للحالات أو المعلومات التي قد تزيد من حالة التنافر. (المصدر: ويكيبيديا، 2018)

دعونا ننظر للتجربة الآتية:

ابتكر عالم النفس الاجتماعي ليون فستنغر في خمسينيات القرن الماضي تجربة مثيرة لاثبات انتشار التنافر المعرفي وتبنيه بواسطة الأفراد فكانت التجربة تعتمد على مجموعة طلاب مقسمين لثلاث مجموعات تجريبية طلب الباحث منهم القيام بمهمة مملة وهي تحريك بعض الأعمدة باتجاه عقارب الساعه، تجربة كتلك مملة جدًا بالطبع ولا يعرف لها هدف، بعد إتمام المهمة طلب من المجموعة الأولى أن يتجهوا لإحدى الغرف لملأ استمارة بها أسئلة حول المهمة التي أنجزوها، في حين طلب من المجموعة الثانية أن يكذبوا على بقية زملائهم الطلبة بقاعة الانتظار وإخبارهم أن التجربة جد ممتعة مقابل مدهم بدولار، أما آخر مجموعة فقد طُلب منهم الكذب على زملائهم وإخبارهم أن التجربة ممتعة مقابل 20 دولار. بعد الانتهاء من كل التجربة تم إجراء مقابلة مع الطلبة من كل مجموعة من طرف

الأستاذ وحده وطرح أسئلة بينه وبينهم فقط حول مدى استمتاعهم الحقيقي بالمهمة ومدى اعتقادهم أنها تخدم العلم، وذلك بوضع علامة من 5 إلى -5 حيث أعلى درجة تمثل الاستمتاع الكامل بالتجربة، في حين أدنى درجة تمثل أقصى درجات الملل، فكانت نتائج المقابلة كالتالي:

1-اعترفت مجموعة العشرين دولار بأن التجربة مملة لكن قد تكون مهمة لكنهم لا يرغبون في القيام بها مجددًا.

2-أقرت المجموعة التي لم تتلق أي مال بأن التجربة مملة جدًا وربما تكون مهمة ولكنهم لا يرغبون القيام بها مجددًا.

3- كان تصريح المجموعة التي تلقت الدولار مدهشًا بحق فقد أقروا لأستاذهم بأنهم استمتعوا بالفعل بالتجربة وهي تجربة مهمة جدًا ويرغبون في القيام بها مجددًا.

يفسر فستنغر ذلك بأن التنافر المعرفي قد حدث لدى المجموعة التي تلقت دولارًا واحدًا فقط ثمنًا لكذبها حيث المبلغ صغير ولا يعطي مبررًا للكذب مما سبب لديهم نوعًا من الخجل والخزي تجاه ما فعلوه وجعلهم يقنعون أنفسهم بأن التجربة جد ممتعة ورائعة وذلك لرفع الضغط النفسي المتولد لديهم بسبب الكذب مقابل مبلغ ضئيل أما المجموعة التي تلقت العشرين دولار فهي تجد المبلغ كافيًا ليبرر الكذب ولم يحدث لهم ضغط نفسي فقالوا ما هو حقيقي، إذن يحدث التنافر المعرفي عند زرع تناقض بين السلوك والمعتقد ومن ثم إدراك هذا التناقض مما يؤدي للتنافر ثم القيام بمحاولة لحل

ذلك التنافر ويذكر الباحث ثلاث طرق لحل التنافر المعرفي وهي:

1-تغيير المعتقد: وهي أسهل طريقة لحل التنافر، فإذا كان الشخص بوسط اجتماعي يحرم الموسيقى في حين ينصت هو لها فقد يطمئن للتفسيرات التي تقول أن الموسيقى ليست حرامًا، أي أنه سيغير معتقده بما يتناسب وسلوكه... نحن نغير معتقداتنا مع مرور الزمن في أمور شتى بما يتناسب وسلوكياتنا، الأمر يطال أتفه التفاصيل، كأن يغير الإنسان اعتقاده بأن السهر مضر مثلًا أو التدخين قاتل أو أي معتقد كان.

2-تغيير السلوك: وهو أصعب من تغيير المعتقد لارتباط السلوك بالمحفزات التي لا نستطيع مقاومتها، لايمكن للمدخن الاقلاع بسهولة عن التدخين، لايمكن للكسول أن يتحول لمجد، لذا قد يغير معتقده بأن الدراسة أصلًا بلا أي فائدة فهذا أسهل من فتح كتاب.

3-تغيير الرؤية أو وجهة النظر: وهنا يعتبر التحول من أخطر ما يكون فيقوم الفرد بغسل مخه بنفسه ويراوغ ويكذب على ذاته تمامًا كما حدث في التجربة ويحدث ذلك غالبًا بشكل لا شعوري وبإيحاء خفي من راع ما. (Waqi3، 2018)

اختبار لقياس التنافر المعرفي:

أجب على الأسئلة الآتية بصدق تام:

1.هل هناك عادة أو أكثر تفعلها وتشعر أنها سيئة بالفعل وتعلم

أخطارها ومع ذلك لا يمكنك التوقف عنها؟

(مثال: إدمان الإنترنت، التدخين، العادة السرية، تضييع الوقت، النميمة، خداع الجنس الآخر باسم الحب، الكذب، الشراهة في الطعام، عمل ريجيم والفشل فيه، الدخول في مناقشات عقيمة، المشاركة في ترندات الفيس بوك كل يوم وتضييع وقت كبير بها، ادمان الفيس بوك وغيره من وسائل التواصل الاجتماعي، مطالعة أفلام جنسية باستمرار، التفكير المبالغ فيه، القلق المستمر، قضم الأظافر، النقد اللاذع، التعبير عن رأيك في كل شيء، فرض الرأي، الوسوسة في الفروض الدينية، الوسوسة عمومًا، التلصص على الآخرين، تتبع أخبار النجوم، الدخول في خيالات لا يقبلها المجتمع والدين وربما أنت نفسك، الطموح الزائد، التردد، العصبية، غير ذلك -اذكرها-)

....

....

....

2-كم مرة جربت التوقف عن تلك العادة وفشلت؟ هل ستجرب مرة أخرى؟

....

....

....

3-هل تجد أنه من الممكن التعايش مع تلك العادة وقبولها؟ اذكر مبررك لذلك من منظورك الشخصي ومنظور المجتمع؟

....

....

....

4-هل لديك الجرأة على الاعتراف بهذه العادة أم تفضل سريتها؟

....

....

....

5-إن كنت تفضل سريتها ما هي أسبابك؟

6-هل لديك القدرة على الاعتراف الآن بضعفك تجاه تلك العادة وهل تتقبل ذلك الضعف؟

....

....

....

نتيجة الاختبار

هذا الاختبار ليس له نتيجة محددة لكن يعتمد على مدى صدق الفرد مع نفسه وقدرته على الاعتراف بأسوأ عاداته وتخمين أسباب وجود تلك العادات وأثرها السلبي على الفرد ثم محاولة الوصول لمرحلة من قبول الذات والتعايش مع سلبياتها إن لم يكن هناك

خطر كبير منها أو التوقف لإيجاد حلول لتلك السلبيات وللتخلص منها وإبدالها بإيجابيات أخرى.

من هنا يتضح خطورة التنافر المعرفي على توجهات العقول وكيف أننا جميعا معرضون له بشكل شبه يومي ومثال على ذلك انتشار ما يسمى بالترند على مواقع التواصل الاجتماعي فنجد الكثيرين يقومون بنشر وترويج ذات التريند الذي ربما يكن تافهًا أو خبرًا مفبركًا أو نميمة وسب في آخرين بلا علم ثم نجد من هم من المفكرين وأصحاب الرأي السديد يقومون بالترويج للتريند التافه أو الشائعة بلا وعي منهم فقط رغبة منهم في مجاراة التريند وإن واجهتهم بذلك يبدأون في تبرير فعلهم بأنه مجرد تمضية وقت أو تسلية وربما يشرعون في تبرير فوائد تلك الأخبار ومن ثم قد يقتنعوا بذلك ويصبحوا من مضيعي الوقت والفكر في شائعات وتفسيرها أو نميمة ونقاشها أو مجرد خبر تافه لا يمت للحقيقة أو الفائدة بشيء، من المستفيد هنا؟ بالطبع هناك الكثير من المستفيدين أمثال أصحاب الأموال والتجارات وأصحاب المواقع التي تعمل على مثل تلك الأخبار وغيرهم فتصبح اللحظة سلعة والفكرة شرارة وهم يبث تلقائيًا عبر مروجين مجانيين لها.

أنهيت ملاحظاتي حول التنافر المعرفي ثم أرفقتها بالبحث الخاص بالماجستير وعدت أفكر في راضي الديب وما تحول له، هو اختار الحل الثالث، غير رؤيته ليقنع ذاته بأن أخته قد خطفت بالفعل من قبل جن سفلي رغم أنه هو مبتكر الكذبة، لم يستطع

تغيير معتقده بأن ما حدث لأخته قدر وليس عارًا ولم يستطع تغيير سلوكه في مجتمع لن يرحمه لو غير معتقده فاختار الحل الثالث الذي قدم له الراحة التي لم يعها العقل الواع مما سبب له الانفصال عن الواقع وربما الجنون. هل أنا أخطأت؟ ماذا كان حجم خطئي؟ هل كان لزامًا علي التبليغ عنها و إجبار راضي على الاعتراف باختفائها؟ هل كان ذلك سينقذها؟ ماذا لو لم أتدخل بالمرة ولم أفكر في أحلامي؟ هل ما فعلت قدم شيئًا ما لسميرة؟ ربما نعم وربما لا لكن على الأقل وجدت سميرة مكانًا محترمًا تدفن فيه قبلما يلقيها السفاح في مزابل القمامة وتتعفن. من المخطئ؟ أنا أم راضي أم حمادة؟ هل المجتمع مخطئ؟ إلام سيظل التنافر المعرفي شرابًا نحتسيه كل يوم ونتجرع مرارة نتائجه؟

عدت لعملي ومرضاي وأنا مازلت أفكر فيمن هم على شاكلة راضي الديب من مجاذيب ومجانين، لماذا يتزايدون وكيف يمكن التعامل معهم وعلاجهم؟ هل من الممكن أن أفعل شيء إيجابي لهم أم أن المجتمع غير مؤهل لتقبل العلاج النفسي؟ جدولي يحمل الكثير من العمل الذي ينتظرني، ملفات وأبحاث وخطة للسفر لألمانيا، نهى في عقلي ليل نهار كثمل لا يفوق من شرابه أبدًا ولا يريد، شيء ما بين عقلينا يستمر في بث النشوة في عقلي وجسدي، كيمياء مختلفة لم أدرك مثلها من قبل. كيمياء فريدة تزداد كلما تقابلنا وكلما تباعدنا وتفور لتثور وتصعد لتهبط في استعداد لصعود أعلى. ذات مساء استبد بي الملل، هاتفتها وطلبت مقابلتها، ما زلنا في

مرحلة الجذب والشد، لم أعترف بحبي ولم تعترف هي، حرب بيننا بالكلمات والحروف، أريد الدخول في مرحلة جديدة وهي تراوغ، دعوتها للعشاء، قبلت. لتلك المرأة رائحة خاصة جدًا أكاد أشمها قبل الاقتراب منها بل قبل حضورها، جلست في مطعمي المفضل أنتظرها وأشم رائحتها عن بعد، ما زلنا نتلاقى في بعد الحلم، هي تعلم ذلك وأنا أعلم لكننا لا نعترف بشيء، الغموض يلف كل شيء بيننا، تزورني هي في حلمي وأزورها كذلك، كلانا لديه ذات الملكة وكلانا يتحفز للآخر كذئبين لم يحن موعد لقائهما الغريزي وصراعهما على البقاء بعد، يقولون البقاء للأقوى وما زال كل منا لا يستخدم كل قواه ضد الآخر ولا يعلم عن قدراته شيئا، قد يظن الناس أننا أصدقاء وقد ندعي نحن ذلك لكن لا نستطيع الإدعاء عندما تتلاقى عينانا فعندها لا شيء يمكنه كبح جماح الغريزة الأولى التي تنطلق وتملأ المكان من حولنا، بالرغم من ذلك لم يصرح أحدنا بما يريده من الآخر بعد. اقتربت نهى لتعبئ المكان بظلال أنوثتها المجرمة وكبحت غريزة البدائي بداخلي وارتديت زي الرجل المتحضر، تدثرت هي في ثوب مخملي أحمر محبوك على جسدها الرشيق يكاد يغطي ركبتيها وانسدل شعرها خلف ظهرها ليضفي عليها رونقًا خاصا فكانت فتنة مكتملة يكذب كل من ادّعى العزوف عنها، رحبت بها كما يليق بامرأة راقية وطبيب متحضر ثم أجلستها ليس ببعيد عني:

-تشعين نورا اليوم

ابتسمت في إغراء:

-شكرًا، ما أخبارك؟

-كل شيء على ما يرام وأنت كيف حالك؟

-بخير والحمد لله، مرهقة قليلًا فقط من مشكلات العمل وتمارا ابنتي،ما عندك حل للارهاق؟

اتقربت منها هامسًا:

-عند شعوري بالإرهاق لا يوجد سوى حل واحد هو غرفة الاعتزال حيث..

قاطعتني في دهشة ضاحكة:

-ماذا؟ غرفة الاعتزال؟

- نعم، غرفة الاعتزال، غرفة صغيرة في بيتي مجهزة بكل وسائل الاسترخاء وتنقية المخ.

نظرت لي نظرة غريبة توحي لي بأنني ذئب يريد استدراجها لعشه، لست بذئب عادة لكني أفضل أن أكون ذئب أمام شيطانة مثلها فالشياطين تخشى الذئاب كما يقولون.

جاء الطعام فتناولناه في صمت ثم فاجأتني نهى بقولها:

-أنا أريد أن أرى غرفة الاعتزال هذه وأجربها.

استيقظ الذئب بداخلي، هدوء تام شمل عقلي وكياني بالكامل كرد فعل طبيعي للرجل المتحضر الذي أتلبس ثيابه.

حقيقة علمية

"عندما يستيقظ الذئب داخل الرجل يحدث تعمية كاملة لمناطق الذاكرة ذات الصلة بكل ما تعلمه من آداب وسلوكيات اجتماعية ودينية وحضارية."

قمت بتهدئة الذئب بداخلي وتظاهرت باللامبالاة ثم اصطحبتها في سيارتي، نظرت لها فوجدتها تبتسم في خبث وسخرية، لم أعد أفهم ماهية تلك المرأة، هل هي امرأة لعوب أم تريد الزواج مني أم أنها فقط تلاعبني كما قال مصعب، كثيرًا ما أشعر بها تمثل ولكنني لا أدرك شعوري حيالها كذلك ربما أنا أيضًا أمثل الحب، كلانا مريض بالآخر، شغف ضخم بحجم الكون يتراقص بيني وبينها، يتجدد، يتمدد ويفترش عالمي بأكمله، صحوي ونومي ثم ابتسامة ساخرة منها ونظرة خبيثة تعيدني لجمود لا أعلم له مصير. الشغف يختلف عن الحب، الشغف يجدد الحياة ويفتح أبواب للابداع والنجاح لكنها امرأة غريبة ولا أعلم هدفها في الوصول لي. نهى هي المرأة الوغدة إن كان يصح أن يوجد مثل هذا المصطلح ودائما يكن لهؤلاء الأوغاد نصيب كبير من الحب والاهتمام ممن حولهم. لم يبدو معظم الأوغاد لطفاء؟ أنا أفهم نفسيتهم جيدًا، هم بالفعل أوغاد لكن هناك من أقنع رؤوسهم الجميلة بأنهم لطفاء فيبدون كذلك ويصدقون ويخطئون ثم يسامحون أنفسهم الوغدة على تلك الأخطاء الوغدة التي يرتكبونها ولا يعلمون لها سبب، لكن مهلًا.. هناك شيء آخر، كلنا وغد في لحظة ما وكلنا وغد في مرآة شخص ما كذلك.

وصلنا لشقتي، وجدت منها ترددًا في الدخول فتركت الباب

مفتوحًا ثم سألتها:

-خائفة؟

ابتسمت في غرور:

-لا، أبدًا.

ابتسمت:

-غرفة الاعتزال على السطح، تعالي.

صحبتني لسطح البناية التي أستأجر منها شقتي وغرفة فوق السطح أخصصها للاعتزال والاسترخاء وبعض التجارب.

الغرفة ظاهرها بسيط جدًا وعادي، غرفة عادية من الخشب والألوميتال والزجاج الملون مطلية بلون أبيض وزجاجها بني اللون يخفي ما خلفه ومغطى سطحها بقرميد أحمر اللون، فتحت الباب ودعوتها في رفق، قبلما تخطو داخل الغرفة نظرت للنباتات في انبهار حقيقي:

-واو، منتهى الروعة.

-أعجبتك؟

-جدا، النباتات رائعة والهواء كذلك، مشهد السماء خرافي.

اقتربت من النباتات ولمست بعض أوراقها:

-إنها أعشاب مفيدة.

رحت أعرفها على الأعشاب التي أقوم بزراعتها في قوالب

البيتموس، راهوديولا، شاي أبيض، روزماري، مليسا، لافندر، شمر وميرامية، شجرة ليمون "لايـم كبير" في إصيص كبير وشجرة كيمكوات كذلك في اصيص آخر، كادت تجن عندما رأت الثمار تتلألأ فوق أفرع الشجرتين، قطفت لها ليمونة وتركتها تستمتع بقطف الكيمكوات وتذوقه، نظرت للإضاءة الداخلية للغرفة قائلة:

-الإضاءة ملفتة.

-تفضلي.

دعوتها داخل الغرفة حيث جلسنا أرضًا أمام طاولة من الخشب الطبيعي الغير معالج مستطيلة منخفضة أرضًا، جلسنا على حشيات قطنية مريحة، قدمت لها الشاي الأبيض بطعم عشب الليمون والفانيليا، نظرت للغرفة ثم علقت:

-راقني اهتمامك بالسيمترية، كل شيء في هذه الغرفة متماثل، لوحتين متشابهتين مقابل بعضهما البعض، مزهريات الورد، الكراسي، وحدات الإضاءة، ..

قاطعتها قائلًا ويداي تمسكان بيديها:

-وأنا وأنت.

نظرت لي بذات الطريقة الخبيثة التي عهدتها منها، جو الغرفة جعل الذئب داخلي حملًا أو ربما هي من تفعل بي ذلك، سألتني في هدوء:

-أنا وأنت متشابهان؟ دعني أقارن، انت أسمر وأنا بيضاء، الطول

تقريبا واحد، فرق السن بسيط، الوزن وشكل الجسم قريبين جدًا وماذا بعد؟

اقتربت منها في هدوء قائلًا:

-ذات الرغبة، وذات الأهداف، ذات الشغف والاحساس والحالة.

سرحت قليلا ورشفت رشفة من الشاي ثم قالت في هدوء:

-أتظن ذلك حب؟

ابتعدت عنها مجيبًا:

-لا أعرف حقا. دعينا نختبره ونرى.

قلبت نظرها في الغرفة وثبتت عينيها على جهاز الراديونيك خاصتي:

-ما هذا؟

-راديونيك، أتجربيه؟

-لم أفهم، حدثني عنه، مم يتكون وما هي وظيفته؟

-جهاز يعمل على الذبذبات الخاصة بالكائنات الحية، يتواصل معها ويرسل لكل جسم طاقة فكرية خاصة أو رسائل خاصة بالمرسل.

-وما تلك الأحجار به؟

-كوارتز، حجر ذو قدرات تواصلية يعد أساسيًا في عمل الراديونيك.

-والصندوق الخشب؟

-الصندوق يحفظ الكوارتز أما مجال الإرسال والاستقبال فلا أملك عنه فكرة علمية لكنني أقوم بعمل أبحاث خاصة به.

نظرت لي في لؤم وقالت بنعومة:

-أنت تستخدم هذا الجهاز وأنت تفكر بي، أليس كذلك؟

-لا، قطعا، المجال بيني وبينك مفتوح دائمًا ولا حاجة لأجهزة أو شيء من أثرك.

-أثري؟ ماذا تقصد؟

ضحكت ثم أردفت:

-أنت تمارس السحر علي؟

-تريدين أن تقولي أنني سحرتك؟

اقتربت مني حتى نفذت رائحتها العطرة لأنفي بين كلماتها التي ألقتها في وجهي:

-السحر بيننا متصل، ألم أقم أنا أيضًا بسحرك؟

تمالكت نفسي ثم رحت أطلعها على الجهاز وشرحت لها أنه نسخة مبسطة وهناك العديد من النسخ المطورة إلكترونيًا منه في جميع أنحاء العالم وكيف أنه يمكن استخدامه عن طريق وضع جزء من أثر الشخص المطلوب التأثير فيه في هذا الصندوق فتقوم الكريستالات (الكوارتز) بالتذبذب بنفس الذبذبه الخاصة بذلك الشخص ومن هنا تعمل الكريستالات كجهاز إرسال للجسد ثم يتم التواصل بين الشخص المؤثر وبين الكريستالات المرسلة عن طريق

الطاقه الفكرية بالتركيز على فكرة ما وترديدها ولمس الكريستالات.

سألتني في فضول:

-هل أنت مقتنع بهذا؟ أقصد هل هذا شيء علمي؟

-اسمعي، أنا كطبيب غير مقتنع طبعا ولكن لا يمكنني أن أنكر أنني أنا نفسي عندي قدرات خاصة في التواصل وجربتها بالفعل كما أنني أحاول إيجاد تفسير علمي لحالتي أنا وعلاقة العقل الباطن بهذا وهل من الممكن أن نستخدم التواصل الغير مباشر كعلاج للأمراض النفسية والجسدية أم لا!!

-وماذا تفعل أيضًا في غرفة الاعتزال؟

-جلسات استرخاء بسيطة، تنويم ذاتي وتنقية شوائب الأفكار.

-هل من الممكن أن أشاهد ذلك؟

ضحكت من طريقتها الطفولية التي أعشقها وفي حركة ساحر مسرحية قلت لها:

-سمعا وطاعة يا مولاتي.

أحضرت زيت الورد وفواحتي الكهربائية لينتشر العطر في المكان ثم قمت بتشغيل موسيقاي المفضلة لموزارت وأطفأت الأضواء ولم أبق سوى على ضوء أصفر خافت بعيد وغير مباشر وبدأت في الشرح لها:

-أنا أحاول أن أصل لعقلي الباطن أثناء وعي العقل الواعي عن طريق جو ملائم للاسترخاء كما ترين، موسيقى وعطر واضاءة ثم

نبدأ بإعطاء أوامر للعقل الواعي بالاسترخاء البسيط.

-الله، هذا رائع ومناسب ليصبح حلقة ف البرنامج التلفزيوني الخاص بي، ما رأيك؟

ضحكت وأشرت لها بعدم الكلام فقالت:

-هل من الممكن أن تكتب لي الخطوات بالتفصيل في ورقة؟

أخرجت دفترًا صغيرًا من حقيبتها وقلم وقدمتهما لي فقمت بكتابة الآتي:

جلسة تنويم مغناطيسي ذاتي

لعمل جلسة تنويم مغناطيسي ذاتي قم بعمل الآتي:

اختر مكانًا منعزلًا رائقًا يمكنك المكوث فيه وحدك ساعة على الأقل.

خفف الإضاءة ولتكن بلون أصفر باهت غير مباشر.

استخدم رائحة عطرية خفيفة فواحة مثل زيت الورد أو اللافندر.

تناول مشروب مهدئ قبل الجلسة مثل الميرامية، البابونج، الشاي الأخضر أو الأبيض.

حاول التخلص من أي ملابس ضيقة وارتدي ملابس مريحة فضفاضة.

ابدأ بإعطاء الأوامر لأعضاء جسدك واحدًا تلو الآخر حتى يسترخي الجسد في النهاية بالكامل.

قم بالعد من واحد حتى عشرة في هدوء ثم ابدأ بعدها بمخاطبة عقلك.

اطرد أي صور أو أفكار عشوائية قد تتراءى لك واغمض عينيك.

اختر صورة خيالية تحبها كعمق البحر أو سماء عالية أو فضاء بين النجوم أو فوق سحابة بيضاء أو نائما في حقل أخضر واسع لا حدود له واندمج مع الموسيقى وذلك الخيال.

قل لنفسك ما تريد فعله وكرر أهدافك، أخبرها أنك تحبها وأنك ستساعدها في طرد كل ما يشتت انتباهك ويقلل من طاقتك على العمل، أخبرها بأنك ستساعدها على النجاح والعمل وستوفر وقتك وجهدك لها فقط ولخيرها، كرر ما تريد الوصول له وكن مؤمنا بما تقول فلو لم تؤمن به فلن يصل لعقلك الباطن الذي يجب أن يدفعك بعد ذلك للتصرف الإيجابي بمساعدة قليلة من عقلك الواعي.

يجب عليك بعد ذلك الخروج من حالة التنويم لحالة الوعي تدريجيًا كذلك فقم بتخيل ذات المشهد الخاص بعمق البحر أو السحاب أو النجوم وأعط الأوامر لأعضاء جسدك باليقظة والوعي وافتح عينيك ثم عندها يمكنك النوم أو مواصلة حياتك اليومية.

اكتب نتائج الجلسة على يومك وأعصابك وهل كانت ناجحة أم أنها لم تقدم لك فائدة؟ هل تفكر في تكرار التجربة؟ ما هي ملاحظاتك على الصور التي تداعت على عقلك وقمت بطردها؟ هل كانت صور عنيفة؟ جنسية؟ مشاكل يومية؟ حب؟ عمل؟ ذكريات؟ أم ماذا؟

....

....

....

....

قدمت لها الورقة فقرأتها وعلقت:

-هل هذا تنمية بشرية أم علم طاقة أم ماذا؟

أجبتها في سرعة وحسم:

-لا هذا ولا ذاك، إنه علم نفس بالطبع.

-جميل، ما رأيك بعمل حلقة تليفزيونية عن غرفة الاعتزال؟

-لا، قومي وحدك بعملها، أنا لا أحب الميديا.

نظرت لي نظرة حادة وقالت بطريقتها الطفولية:

-هل هناك شخص لا يحب الميديا؟ ماذا تحب إذن؟

-أحبك أنتِ.

اقتربت منها ولم أعرف كيف ثارت مشاعري هكذا فجأة، اقتربت من شفتيها حتى شعرت أنفاسها تختلط بأنفاسي وغبنا في قبلة حاولت أن أهذبها قدر ما استطعت لكن يبدو أن شيطاني خرج عن زمامه ولم أستطع كبح جماحه، ربما هي لحظات وأصل لما أريده منها، شعرت بها تبتعد عني فثارت نفسي، وجدتني أقول لنفسي بأنها مجرد لحظات وترتاح خلاياي المعذبة بها، وجدتها تبعدني عنها في قوة وعلت أنا الشيطان بداخلي، استيقظ حينها الطبيب النفسي

المتحضر محمود ياسين المصري وذكرني بخطورة لحظات الشيطان تلك فما يطلقون عليها لحظات شيطان هي تلك اللحظات التي يصبح فيها الانسان على كامل حقيقته بلا أقنعة يختبيء خلفها، يتجلى وجهه الحقيقي وهؤلاء من يسيطرون على شرورهم في لحظات الشيطان هم فقط من يستحقون لقب البشر. الذئب داخلي يعوي، نهى فريسة طازجة عاشقة لصيادها ذات مقاومة ضعيفة، شعرت بالصراع يغلي في داخلها هي كذلك ولم أستطع أن أغلب البشري على الذئب، ذلك الرجل الصعيدي بداخلي يخبرني أن المرأة هي المسئولة في مثل تلك اللحظات، يبدو أن أفكاري انتقلت لها فوجدتها تبعدني عنها في عنف وتخرج غاضبة لأسمع وقع خطوات أقدامها على السلالم فلا أتبعها فلو لم أصل لدرجة البشري فلا داع لترك الذئب يتمادى في العبث.

ما زلت أتابع محمود عبد المجيد، حالة فريدة من حالات المستشفى، أحضره والده لتلقي جلسات كهرباء في المستشفى، عمره 35 عام، حاصل على ليسانس آداب ولم يتزوج، تفوق دراسيًا حتى الثانوية العامة حيث لم يؤهله مجموعه للدخول لكليات القمة ورفض والده الإعادة من أجل تحسين المجموع فقضى البقية الباقية من عمره يرسب في الكلية ويفصل ويعود حتى حصل على الليسانس، ظهرت علامات المرض عليه منذ بداية دراسته الجامعية كما يتضح لي من تاريخه العلاجي. عندما رفضت طلب والده بدخوله المستشفى وأخبرته أنه من الضروري أن يسلم نفسه بنفسه. فحالته ليست بالخطيرة، مر شهر ثم جاء الشاب بنفسه، رفضت

طليه بتلقي جلسات الكهرباء في البداية رغم تصميمه وإصراره الغريبين ثم بدأت معه جلسات العلاج النفسي الفردي كمقيم في المستشفى بعدما رفض جلسات العلاج الجماعي، شخصت حالته اكتئاب حاد واضطراب حاد في الشخصية، لديه قرحات في المعدة والمريء والاثنى عشر، ذات مساء حوالي الساعة العاشرة هاتفني صبري المساعد الخاص بي وطلب مني الحضور في أسرع وقت ممكن فسألته:

-خيريا صبري، ما الأمر؟

-محمود يا دكتور، محمود عبد المجيد، هذا الرجل ملبوس، لابد أن تأتِ لتراه.

-ماذا؟ ملبوس؟ ماذا تقصد بملبوس؟ تكلم بعقل يا صبري أو أضعك مع المرضى.

-إذن تعال بنفسك لترى.

وضعت نفسي داخل أقرب قميص وبنطال ثم داخل السيارة وتوجهت من فوري نحو المستشفى، تذكرت نهى، مجرد ذكرها في عقلي يجعل النشوى تسري في كامل كياني، كلما شعرت بالقلق أتذكر نهى، قبلتها ما زالت دافئة تتكرر يوميًا في أحلامي وفي يقظي، لم تتواصل معي منذ ذلك اليوم، هي غاضبة بالطبع وربما احتقرتني وقررت الابتعاد التام عني. فكرت في كلام صبري، شيء ما أخبرني بأنني مقبل على تجربة صعبة، الطبيب النفسي يعاني ربما أكثر من

مرضاه فهو يعيش في كل حالة ويتأثر بكل حدث يحدث لها، اقتربت من البوابة الحديدية، وجدت صبري ينتظرني والقلق بادي على وجهه، صبري مساعد جيد مخلص لعمله، ربما عيبه الوحيد هو المبالغة الانفعالية وربما كان ذلك سببه تواجده مع المرضى غالبية وقته، ترجلت من السيارة ثم سألته:

-السلام عليكم، خير يا صبري.

بدا الوجوم على وجه صبري ولم يجبني لكنه أسرع في خطواته نحو الباحة الخلفية للمستشفى، أسرعت خلفه وقد علا في أذني صوت يشبه صوت حيوان يعوي وخشخشة أوراق شجر، الباحة الخلفية ليست مضاءة، مظلمة كقبر مغلق لتوه. أخرجت هاتفي المحمول وأضأت بطاريته وعلى ضوء البطارية رأيت مشهدًا لم أشهد مثله من قبل، محمود عبد المجيد مريضي منكفيء على الأرض يلتهم قط حي يعوي بين يديه، رفع وجهه نحوي وبدا الغضب على محياه، الدماء تملأ فمه، القط يعاني، لا أعلم كيف مزقه هكذا؟ هل استخدم أسنانه فقط أم ربما يحمل آلة حادة؟ لكن كيف له بحمل آلة حادة؟ لا نسمح لهم بالحصول على أي شيء يصلح كآلة حادة حتى الملاعق والشوك جميعها من البلاستيك الخفيف، نظرت في عيني صبري ونظر في عيني، بلا حديث اتفقنا على الهجوم الفوري، باغتته بركلة قوية من قدمي في وجهه فانبطح أرضًا ثم انحنى صبري فوقه ليمنعه من الحركة مكبلًا يديه خلف ظهره في سرعة، هاتفت سالم النوبتشي الآخر الكسول، استيقظ وأجابني فطلبت منه تجهيز غرفة الجلسات

الكهربية، حين قاده سالم تحول ما رأيناه وحشا منذ قليل لكائن هادئ مسالم مندهش ينظر حوله ولا ينطق بحرف، ساقه صبري وسالم في هدوء، لم يقاوم وكأنه يريد العلاج بالصدمة الكهربية، حددت له بين ستة إلى ثمان جلسات وأضفت في ملفه التشخيص التالي: "هستيريا تحويلية" لكن ما رأيته لم يكن هستيريًا أو هوس، كيف جاءت له القدرة على تمزيق القط هكذا؟ تعتبر الهستيريا التحويلية مرض نفسي جسمي يشمل تحويلًا جسميا لأمور نفسية معقدة في عقل المريض الواعي والباطن فهي تعتمد على حيلة دفاعية نفسية أساسية هي التحويل حيث تحول الانفعالات والصراعات إلى أعراض جسمية كحل رمزي للصراع لكن ما هو الصراع الذي يعانيه محمود حتى يجعله يلتهم القط حيًا في جنح الليل؟ استدعيت صبري بعدما أتم جلسة الكهرباء:

-هل وضعته بالعزل الانفرادي؟

بدا صبري مرهقا للغاية وعرقه يتصبب منه:

-نعم يا دكتور.

-مابك؟ هل أرهقك؟

- كان يضحك أثناء الجلسة.

-يضحك؟

-نعم يا دكتور والله، هذا مريض غريب جدًا.

دعوته للجلوس ثم سألته:

-صبري، لم قلت أن محمود ملبوس؟

بدت علامات الرعب على وجهه فدعوته للجلوس وقدمت له زجاجة عصير من ثلاجتي الصغيرة حتى هدأ وبدأ في سرد ما رآه:

- منذ عدت أيام وأنا كلما دخلت حمام العنبر الخاص به، أرى مصحف صغير موضوع جوار الصابونة وكلما حاولت أن أحركه من محله لم أستطع ثم أنسى الأمر تمامًا حتى جاء يوم دخلت العنبر الذي كان هو مقيم به فوجدته ممسكًا بكتاب غريب يقرأ منه ويكتب أشياء غريبة، رموز وطلاسم ونجوم ودوائر في أوراق كثيرة، خفت وقررت أن أراقبه جيدًا، كل يوم بعد ما يتم تسكين جميع العنابر وينام الجميع كنت أسمعه يحاول أن يفتح باب العنبر وبالأمس فتحه بالفعل ولما خرج تبعته حتى وجدته خلف المستشفى كما رأيته أمس بنفسك.

-هل كان معه آلة حادة؟

-لا أعتقد، لقد قمت بتفتيشه جيدًا بعد الجلسة ولم أجد معه شيء.

-حسنًا، أحضر لي الورق الذي كان يكتب فيه وغدًا إن شاء الله سأجري له بعض الاختبارات والتحاليل.

نظر لي صبري نظرة غريبة ربما ظن أنني سأرسل المريض لدجال مثل أبو العزائم مثلًا، نظرت له في حزم فخرج ورحت أدون بعض الملاحظات عن محمود عبد المجيد:

-حالة غريبة مليئة بالأعراض المختلفة للعديد من الأمراض النفسية.

-هياج وتوحش جسدي وسلوك عدواني إجرامي شاذ.

-صمت ورغبة في إيذاء الذات.

طرق صبري الباب ودخل ومعه مجموعة الأوراق الخاصة بمحمود، كانت مجموعة عجيبة جدا بها بالفعل رموز من كتاب سحر مثل نجوم وحزوف مقلوبة وبعض عبارات صيغت بطريقة أدبية عالية جدًا، يبدو لي أن محمود هذا على درجة من الثقافة والقراءة، في الصفحة الأولى كتب بخط كبير جدًا: " الجحيم هو الآخرون" تلك العبارة المشهورة للمفكر الفرنسي جان بول سارتر ثم كتب عبارات اعتقد أنها من صياغته الخاصة وربما قرأها في مكان ما، كتب في الصفحات التالية عبارات مثل:

"النسيان عدو الحياة"

"إن تعلق قلبك بمن لا يستحق وهذا غالبًا ما يحدث فاقتلهم داخلك ثم ثبت شرك داخلهم."

"هل أنا كذبة أم لا شيء؟ أنا ذلك الوحش القابع داخل كل منكم وأنتظر لحظات الالتهام."

وجدت كذلك الكثير من السباب ضد النظام الحاكم والدين واتهامات للرب ثم اعتذار له وطلب المغفرة ومخاطبة مباشرة للشيطان مصحوبة برموز سحرية وطلاسم يطلب منه العون والمساعدة. كنت منهكًا جدًا فاستغرقت في النوم في غرفتي بالمستشفى وأنا ما زلت أفكر في محمود عبد المجيد هذا وأحاول

تشخيص حالته جيدًا وإيجاد طرق لعلاجه.

نمت نوم عميق جدًا بلا أحلام ثم استيقظت لأجدني انتقلت لمكان غريب اسطواني مضاء بلون أصفر قوي، فكرت، ربما هذا حلم عبد المجيد أو صبري لكنني أشعر بي يقظًا جدًا، أرى كل شيء حولي وأعيه جيدًا، حاولت أن أجرب طريقة للخروج من الحلم، نظرت للاسطوانة فوجدتها ذات ثلاث مستويات لأسفل وبين كل مستوى والآخر مستوى منبسط وها أنذا واقف على المستوى الأول ومن تحت أقدامي المستوى الثاني من الاسطوانة ثم مستوى منبسط يؤدي لمستوى ثالث، فكرت إن كنت ما زلت أحلم فلو هويت لأسفل فسوف توقظني الصدمة، جمعت شجاعتي لأقفز حين رأيته أمامي، رجلًا مهيبًا ذو وجه أحمر اللون مرتديًا عباءة ضخمة ذات لون نحاسي وخوذة حربية نحاسية كذلك وفي يده سيف طويل، سألته:

-من أنت وأين نحن؟ هل أنا في حلمك أم أنك في حلمي؟

أجاب بصوت هادئ عميق:

-أنت في البرزخ المؤدي لمملكتي.

عندها انفتحت الأسطوانة أمامي ورأيت طاولة ضخمة عليها طعام وشراب، دعاني لمائدته فجلست، شعرت بعطش شديد لكنني لم أكن أريد تناول أي من طعامه أوشرابه. بادرته بسؤالي:

-ماذا تريد مني؟

ابتسم ضاحكًا:

-ولماذا أريد؟ ربما تريد أنت شيئًا مني.

-أنا لا أعرفك حتى أريد منك شيئًا.

حاولت التعرف على المكان ربما علمت في أي عقل أنا لكن لم توجد أي دلائل أو إشارات، نظر لي قائلًا:

-أريدك أن تعمل معي.

ضحكت ضحكة ساخرة:

-لدي عملي الخاص ولست بحاجة للمكسب.

ضحك ضحكة عالية قوية ثم أردف:

-لديك قدرات للسيطرة عليهم جميعا، سأساعدك في العمل المنظم، تلك العشوائية التي تمنهج عقلك لن تجدي ولن تربح منها النتائج العلمية التي تريدها.

نظرت له مطولًا مفكرًا فيمن يكون ثم سألته:

-أنا في حلمك؟ أليس كذلك؟

-أنت في عقلي، في مجالي الخاص، هل تحب التأكد؟

أجبته: -نعم.

لحظات من الصمت مرت كأنها دهر ثم إذ بريح عاتية تلقيني من فوق الطاولة وتضربني في الحائط بشدة، حاولت المقاومة فوجدته رفع يده اليمنى أمام وجهي وصارت الريح تضغط على جنبي الأيسر بشدة، راح الألم يعتصر جنبي وشعرت بحبات العرق تسقط فوق

وجهي، تحول وجهه هو لكتلة من نار، ابتسمت عندها فقد عرفته، يالي من أحمق أنا في حلم الشيطان شخصيًا. فتحت عيناي بقوة لأجدني نائمًا في غرفة حجرية قديمة يملؤها اللون الرمادي ويتساقط من سقفها خيوط عنكبوت، اعتدلت لأجد أمامي كتاب أسود، لم أحاول فتحه والتقطت أنفاسي بصعوبة، ظهر أمامي فجأة ذلك الشيطان الأحمر ثم بصوت قوي خاطبني:

-هل كنت تظن أن تدخل عريني وتضربني بهذه السهولة؟ العالم صغير حقا؟ تلك الطلاسم والرموز التي رحت تتفحصها جاءت بك لي وسأفعل ما أريد بك.

نظرت في وجهه جيدًا، لا لم يكن الشيطان، تلك ملامح أبو العزائم الدجال، قمت من مجلسي في وهن ثم بكل ما بي من قوة وعزم انقضضت عليه وانهلت عليه ضربًا وتمزيقًا، لكمني في وجهي لكمة قوية أعادتني لذات الاسطوانة ذات المستويات الثلاثة ثم وجدته يحاول الدفع بي لأسفل، سألته:

-ماذا تريدون مني؟

لم يجبني بل دفع بي لأسفل في قوة، وجدتني أهوى نحو القاع، نظرت للقاع وجدته نيران ملتهبة تغلي، حميمها راح يلهب وجهي، غامت أنفاسي وشعرت بهبوط حاد في كل درجة أنزلها داخل هذا الجحيم، رحت أتلو ما تذكرته من آيات قرآنية، رباه، هل تكون هذه نهايتي؟ أخطائي كثيرة لكنني أحاول دائما مقاومة شروري، اختلطت حبات العرق بدموعي وخارت مقاومتي لأجد يد ناعمة بيضاء تخرج من

الظلمات وتسحبني بعيدا عن الجحيم، هواء نقي في رئتي، تنفست الصعداء ونظرت لصاحبة اليد، كنت أشعر أن نهى لن تتركني في تلك الدوامات الساخنة وحيدا، لابد أن تنقذني، نظرت لوجهها الأبيض البريء وسمعتها تتحدث بلهجتها الطفولية:

-هيا، أسرع، لا داع للبقاء هنا، ربما بقيت عمرك بأكمله في ذلك الجحيم القذر.

خرجت معها لأجدني مستلق فوق بساط أخضر ناعم ندي، وجهها الأبيض الدائري يشبه كوبًا من الحليب ينتظره طفل جائع، ملامحها تغيرت قليلا، تفرست فيها جيدًا، لم تكن نهى، كانت سميرة الديب أخت راضي، سألتها: أنت سميرة؟ أجابت: نعم. عملك الطيب، كن حذر دائمًا ولا تتوقف عن العمل الطيب.

-لكنني لم أفعل لك شيئًا، ربما أنقذت جثتك من التعفن في القمامة فقط لكنني ما استطعت إنقاذك.

ابتسمت لي قائلة:

-النوايا الطيبة تنقذ أصحابها دائمًا ولو كانوا على مشارف الجحيم.

فتحت عيناي بصعوبة لأجدني غارقًا في عرقي فوق المكتب في غرفتي بالمستشفى، لم يكن حلمًا عاديًا هذه المرة، لقد كان حلمًا شيطانيًا مركبًا ربما فقدت حياتي فيه، لا أخاف الشياطين عادة، كثيرًا ما زاروني في حلمي وانتصرت عليهم لكن ربما تلك هي المرة الأولى

التي أزور حلم أحدهم، هل هي تلك الطلاسم الغيبية التي يلعب بها ذلك الجاهل محمود عبد المجيد وقرأتها أنا؟ هل حقًا قام أبو العزائم بتسليطهم علي؟ ربما، لم لا؟ لا تهمني حيل الشيطان فالله قادر على توليها جيدًا لكن ماذا عن حيل الإنسان المتوغلة في مجالات عقولنا اليومية؟ ما الذي يريده محمود عبد المجيد؟ ما الذي أوصله لتلك المرحلة من اليأس والتعاسة؟ بللت عطشي بزجاجة عصير مثلجة ثم تجرعت بعدها زجاجة ماء صغيرة، الصداع يفتت رأسي، أين أنت يا عقلي؟ هل سرقتك نهى عصام؟ هل تلاعبت بك الشياطين؟ هل انقدت خلف هلاوس المرضى أم صنعوا منك مريضًا؟ هل تبعثرت أجزاءك بين حلمي ومجالات الآخرين؟ هل تسقط في عالم موازٍ؟ أم أنني ما زلت أحتفظ بك بعيدًا عن المحاولات اليومية المستميتة لغسيلك من قبلهم؟ تعالى يا عزيزي إلي لأغسلك بنفسي وأنظفك مما علق بك من ترهات وخرافات الإنس وبني إبليس. أغلقت عيني لأسترخي قرابة ساعة بلا أي تفكير، فقط بعض الموسيقى وخيال صامت لزهور وسحب بيضاء تتراقص.

فتحت نافذتي لأرى الشمس تبتسم في وجهي، طلبت من صبري أن يجهز لي محمود عبد المجيد ويحقنه بمهدئ بسيط ويحضره لي في غرفتي، عندما حضر محمود، رحبت به وأجلسته أمامي، كان صبري خائفًا وأراد أن يحضر الجلسة معنا أو يقيد محمود لكنني طلبت منه الانتظار بالغرفة المجاورة لغرفتي وبأن يكون على أهبة الاستعداد ربما يحدث شيء ما، المهدئ جعل محمود متزنًا إلى حد

كبير، تعمدت تركه مع نفسه قليلًا ثم حاولت كعادتي فتح حوار معه وكان كعادته لا يستجيب، قدمت له عدة أوراق وطلبت منه أن يقرأ الأسئلة الموجودة بها ويجيب عنها بدون تفكير، أي يذكر أول كلمات طرأت على فكره فقط، اعتاد محمود رفض اختبارات الشخصية التقليدية ففكرت تجربة ذلك الاختبار العشوائي معه، كان الاختبار يحوي بعض الأسئلة وكانت إجابات محمود عليها مدهشة:

1-ما هو لون العالم؟

-برتقالي وأحمر وأسود وألوان فسفورية.

2- ما هي أوسع منطقة في العالم؟

-عقل الدكتور محمود ياسين.

3-مم تخاف؟

-محمود وعبد المجيد-إن وجدا-

4-لماذا يتزوج الانسان؟

-لينجب حيوانات يقتلها.

5-هل تحب الله؟

-الله يحبني وأنا أحبه، أنا أريد والله يريد لكن عبد المجيد فقط يفعل ما يريد.

6-ما هو أجمل حيوان في نظرك؟

-وحيد القرن.

7-ماذا تريد من الحياة؟

-الموت.

8-كم الساعة الآن؟

-∞

9-ما رأيك بالشيطان؟

-شرير وقوي.

10-ما رأيك بالملائكة؟

-غير موجودين.

قرأت إجاباته، وأثنيت عليه، كان يبدو متحمسًا جدًا للاختبار وللإجابة عليه، حاولت بعد ذلك فتح حوار بسيط معه، يبدو أن والده هو سبب عقدته، إجاباته تدل على ذلك كما تدل على ثقته في أو احترامه لعقلي، نظرات عينيه زائغة، يهرش في ذقنه، ظهره مقوس في شيء من خجل زائد عن حده، لا يهتم بنظافته الشخصية وحلاقة ذقنه، بادرته بالسؤال:

-ماذا تحتاج من الجن يا محمود؟

أطرق في خجل ثم قال:

-يساعدوني، لا أحد يساعدني، من أنا أصلًا؟ أعتقد أنني لو قمت بقتل العديد من البشر فلن يهتم أحد، لو قتلت لن يقول الناس محمود عبد المجيد قتل فلا يوجد أحد بهذا الاسم.

نظرت لأسنانه وجدتها حادة جدًا وقوية وكأنها بردت بآلة حادة، سألته:

-أنت تذهب لطبيب أسنان؟

نظر لي في ذكاء ثم ضحك:

-أنت تعرف كل شيء، نعم ذهبت ولكن لم أكمل الجلسات. لقد هاجمت القط بأسناني حتى أصل له.

-لمن؟ الشيطان؟

ردد في رعب وحماسة:

-نعم، شربت الدم ربما يمكنني الوصول إليه، وضعت المصحف في الحمام، قرأت التعاويذ وكتب السحر ولكن حتى الجن لا تراني ولا تقدر وجودي ولا تريد أن تساعدني، الجميع ضدي، الجميع ضدي.

بدأت أعصابه في الانهيار ثم نظر لي في حدة وصرخ في وجهي:

-لا أحد يريد أن يساعدني.

ثم انهار باكيًا وبدأ يحكي، والده، كل عبارة حكاها يذكر فيها والده، لقد حوله الرجل لمريض نفسي به عدد لا بأس به من الأمراض النفسية والجسدية فقط لأنه ابنه الوحيد ووالدته توفيت منذ كان طفلًا في الخامسة، يبدو أن الرجل استخدم أساليب لتحويل توجه الفرد وعزله عن العالم الخارجي وتشتييت إدراكه من الممكن أن يطلق عليها أساليب موجهة ومقننة لغسيل الدماغ وتدمير الأفراد، تركته يتحدث وعندما ازدادت عصبيته وبدأ يسب في النظام الحاكم

وفي أبيه وفي الناس والرب قدمت له حبة مهدئة وماء وجعلت صبري يعيده لغرفته ويشدد عليه الحراسة، قمت بحرق الأوراق التي تحتوي الطلاسم وكذلك الكتاب الخاص بالسحر ثم رحت أدون جزءًا من بحثي حول كتاب: "كيف تصنع مريضًا".

"بعد مقابلتي لوالد محمود وبعض من بقي من أصدقائه وجيرانه توصلت لمعرفة أنه قد تعرض محمود عبد المجيد منذ طفولته لما يسميه الكتاب في فصل من فصوله المزعومة: "الإبدال المعرفي" فلو بحثنا عنه قد نجد في علم النفس المعرفي ما يسمى بأسلوب الإحلال والإبدال. يذكر ابراهيم، (2014) أنه وفقا لأسلوب الإحلال والإبدال يمكن تدريب الفرد على سلوكيات معينة بديلة لما اعتاد عليه ومن ثم تعزيز السلوك الجديد وتقويته حتى يتكرر ويصبح عادة تحل محل السلوك القديم ثم تتابع السلوك بأثر فوري معزز لإتيانه حتى تتكرر وتصبح عادة قوية ومن هنا يتضح لنا أن الإبدال يمكن أن يصبح أسلوبًا علاجيًا بحيث يتم استبدال سلوكيات سيئة لدى الفرد مثل التدخين مثلا او التفكير السلبي أو التأتأة بسلوكيات جديدة كمضغ العلكة أو التفكير الإيجابي والتحدث ببطء ومن ثم تعزيز تلك السلوكيات الجيدة بأثر فوري مثل مكافأة أو كلمة تشجيع أو ترقية حتى تتكرر السلوكيات الجيدة وتصبح عادة. في حالة محمود استخدم والده الإبدال بشكل عكسي فحسب ما ذكرت الحالة أن والد محمود كان كلما رآه يدرس مثلًا أو يبدي سلوكًا اجتماعيًا إيجابيًا مع الأقارب أو الأصدقاء ينهاه عنه ثم يكافئه على الانزواء والانطواء على

نفسه حتى تكرر السلوك السيء وأصبح من عادة محمود الانطواء وقلة الدراسة، يعود الأب بعد ذلك لما يسمى التشويش الإدراكي وهي تقنية ذكرت كذلك في كتاب :"كيف تصنع مريضًا" حيث يقوم الأب بتشويش إدراك ابنه فيطلب منه السلوكيات الجيدة التي علمه ألا يقوم بها ويضربه على تركها فيسأله:

"لماذا لا تندمج مع الناس؟ لماذا أنت انطوائي؟" ثم يعاقبه على عدم الدراسة فيحدث ما يسمى بالتشويش الإدراكي.

التشويش الإدراكي:

يعرف التشويش بشكل عام بأنه أي عائق يحول دون القدرة على الإرسال أو الاستقبال، وهو اضطراب طبيعي أو عَرَضي أو متعمَّد يقود إلى إضعاف رسالة مبثوثة أو الإساءة إلى وضوحها إساءة بالغة بحيث يتعذر فهمها. (جونز وفلاكسمان، 2017)

أما الادراك الحسي فهو مصطلح يطلق على العملية العقلية التي نعرف بواسطتها العالم الخارجي الذي ندركه وذلك عن طريق المثيرات الحسية المختلفة ولا يقتصر الإدراك على مجرد إدراك الخصائص الطبيعة للأشياء المدركة عقليا ولكن يشمل إدراك المعنى والرموز التي لها دلالة بالنسبة للمثيرات الحسية. أي أنه معرفة مباشرة للأشياء عن طريق الحواس. (د.شمال حسن، 2017)

ومن هنا يمكننا تعريف التشويش الادراكي بأنه: "عائق أو عدة عوائق تقود بشكل متعمد أو غير متعمد إلى إضعاف العملية العقلية

التي يتعرف بها الفرد على العالم الخارجي وإدراك معاني الأشياء عن طريق الحواس."

وهذا ما حدث لمحمود عبد المجيد منذ كان طفلًا، تخلى والده عن حقه في الزواج بامرأة أخرى بعد وفاة زوجته بحجة التفرغ لابنه لكنه ربما تولد لديه كبت فحاول استخدام تلك الأساليب للسيطرة على الطفل حتى يضمن تفوقه ونجاحه فتفوق الطفل بالفعل لكن عندما وصل لمرحلة المراهقة بدأ عقله يرفض ويتفهم هذه السيطرة الشاذة التي تبعده عن المجتمع وتبقيه في دائرة أبيه فقط فقضى العقل الكثير من الوقت في التفكير ومحاولة إيجاد حلول للتخلص من سيطرة الأب ولذا لم يستطع التفوق دراسيا كما كان يحدث من قبل ثم مع استمرار محاولات الأب في السيطرة والتشويش الإدراكي تحول محمود لمنحرف ثم مريض. ذكر لي جار لمحمود أن والده متدينا جدا لدرجة التشدد كما يبدو عليه لكن ذلك لا يمنعه من مضايقة جاراته من النساء وملاحقتهن مما يدل على وجود تنافر معرفي لدى الأب عن ذاته الأمر الذي ساعد في تكوين المرض عند ابنه. يشير التاريخ المرضي لمحمود لتعاطيه مضادات اكتئاب منذ سن الثامنة عشرة ويقول والده أنه ضبطه مستمر عليها لسنوات دون وصفة طبية مما يشير للدور السلبي لتعاطي الأدوية بشكل غير طبي للوصول بمحمود لتلك المرحلة من اليأس.

اختبار بسيط لتفحص مستوى الإدراك والتشويش الإدراكي

أجب عن الأسئلة الآتية في أسرع وقت ممكن:

1-كم مرة تكرر حرف السين في أطول أنهار العالم؟(نقطتين)

....

2- ثبت أن الدجالين المبعثرين في كل مكان هم السبب وراء الكثير من ساعات البحث العلمي المثمر الذي يقوم بيه رجال المباحث المثابرون هنا وهناك ومساعدوهم من مرشدين ثانويين. ما هو عدد المرات التي ظهر فيها حرف " ث " في الجملة السابقة ؟ قم بإحصائها مرة واحدة ولا تراجعها مرة ثانية. (نقطتين)

....

3-لماذا وضعت الكلمات التالية في الترتيب التي هي عليه ؟

حلا، ضباب، نبات، تريث، خروج، بلح، خوخ، استشهاد.(ثلاث نقاط)

....

4-والدة "فرانك" لديها ثلاثة أطفال، الأولى أسمها جون June والثانية ماي May فما أسم الطفل الثالث ؟(ثلاث نقاط)

....

5-تخيل أنك سائق حافلة، وفي المحطة الأولى ركبت ثلاث سيدات وأربعة رجال وستة أطفال، وفي المحطة الثانية ركب أربعة أطفال وسيدتان ونزل رجل، وفي المحطة الثالثة صعدت سيدة، فما

طول سائق الحافلة عندئذ ؟(ثلاث نقاط)

....

6-ادَّعى مشعوذ صيني مشهور أنه يستطيع أن يدفع كرة الطاولة دفعة خفيفة بيده لمسافة قصيرة فتتوقف كلية، ثم ترجع مباشرة إليه دون أن يستخدم أي شيء أو أن يربطها بأي شيء، فكيف سيؤدي هذا العمل؟(نقطتان)

....

7-بعث القائد رسالة مشفرة إلى مساعديه. فهل تستطيع أن تفك الشفرة ؟(أربع نقاط)

هيل عقف تملانا كم لايفا دغاو عمتجين أه اشملادو نجل كيلع.

....

8-ما العلاقة بين كل كلمتين مما يلي: (أربع نقاط)

بر وماء.

نعم انتظر.

أباريسرا.

سقط رأسًا.

....

....

9-نشرت قطعة سميكة من الخشب إلى اثنتي عشرة قطعة

متساوية، وجمعتها في كومتين كل واحد منهما تتكون من 6 قطع، وبعد ذلك وجدت أن لديك ثلاثة أكوام من الخشب فلماذا ؟(أربع نقاط)

....

10- تحت أي ظرف هل من الممكن شرعًا أن يتزوج الرجل ابنة أرملته ؟(ثلاث نقاط)

....

نتيجة الاختبار

امنح نفسك النقاط كاملة عند الإجابة الصحيحة وصفر عند الإجابة الخاطئة في كل سؤال على حدة:

1- لا يوجد حرف سين نهائيًا فأطول نهر في العالم هو نهر النيل.

يوجد نوع من التشويش الإدراكي في طريقة طرح السؤال فنجد بعض الناس قد يبدأون في إحصاء حرف الـ " س " في كلمة " المسيسبي " ويغفلون حقيقة أن أطول أنهار العالم هو نهر النيل إذن لا يوجد أي " س " في الإجابة الصحيحة.

2- ثمان مرات، قد يحدث تشويش إدراكي بصري لأحدهم فيدرك حروف ال ش وال س كانها ث.

3- الحروف الأخيرة في كل كلمة ترتيبها كالتالي أ ب ت ث ج ح خ د.

المطلوب هنا هو الإدراك ويقظة العقل لننظر إلى نهاية كل كلمة كما ننظر إلى بدايتها، أو ننظر إلى الكلمة ككل. وعلى الرغم من أن

الإجابة سهلة للجميع ليروها، إلا أن التوصل إلى هذه الإجابة بسرعة يتطلب مرونة العقل وتحليل كل الإمكانيات.

4-الإجابة فرانك.

وجد هنا شيء من تشتيت الانتباه والذي صمم ليؤدي إلى شيء من الإدراك الزائف، حتى على الرغم من أن الإجابة قد وردت في أول كلمة في السؤال فقد ورد هنا تتابع منطقي " جونJune "، "ماي May"، ثم من المفترض يتبعها "أبريل April" وهو تتابع الشهور الميلادية تنازليًا وأيضًا ذكر اسم فتاتين، ومن ثم، سنتوقع أن الطفل الثالث فتاة أيضًا. وفي خضم كل هذا الإدراك والتوقعات الزائفة، سننسى أن العبارة الافتتاحية للسؤال ذكرت أننا نتحدث عن والدة " فرانك "، وأن اثنين من أطفالها تسميان " جون June "، و"ماي May " _ وأن طفلها الثالث لابد أن يكون " فرانك " نفسه.

5-الإجابة هو طولك أنت.

لأنك سائق الحافلة، إذن سيكون طول سائق الحافلة هو طولك، امنح نفسك ثلاث نقاط إذا كانت إجابتك صحيحة.

استخدم المخرج السينمائي " الفريد هتشكوك " أسلوبًا في العديد من أفلامه وقد سماه " ماك جوفين _Meguffin " وهذا الأسلوب هو تسلسل أحداث يثبت في النهاية أنه غير متصل بباقي الحبكة الدرامية. مثل هذا الأسلوب استخدمه في فيلم " Phsycho "، حيث أنه في الجزء الأول من الفيلم ظهرت الممثلة " ماريون

كرين " وهي تسرق نقودًا من رئيسها في العمل وتهرب بها. ثم بعد ذلك تنزل في فندق صغير يسمى " بيتس " وتُقتل وتُسرق نقودها، وبعد ذلك لا يرد ذكر النقود المسروقة مرة أخرى، حيث إنها تتحول إلى جزء منفصل لا أهمية له من الحبكة بمجرد أدائه لغرض، ألا وهو توصيل " ماريون كرين " إلى الفندق.

ويحتوي هذا اللغز على أسلوب " ماك جافين " ففي الجملة الأولى ذكر أنك تخيل أنت، أيها القارئ أنك سائق الحافلة. وفي الجملة الأخيرة كان السؤال " ما طول سائق الحافلة " والذي هو أنت نفسك. أما باقي السؤال فهو موجود لمجرد التضليل ليس إلا، وذلك لكي يخلق نوعًا من الإدراك الزائف للسؤال.

6- الإجابة هي أنه ضرب الكرة بيده عاليًا في الهواء ليس إلا.

إنه أسلوب "Mcguffin" أيضًا. حيث حقيقة كونه مشعوذًا شيء غير ذي صلة بالموضوع، وكذلك كونه صينيًا. فتلك الحقائق هي فقط لتشتيت الانتباه. أي تنقح السؤال، لكي تفهم أنه ببساطة فالطريقة التي يمكن بها أن يضرب الكرة لكي تتحرك مسافة قصيرة ثم تتوقف بالكامل وبعدها ترجع إليه مرة أخر هي ضربها عاليًا في الهواء.

7- اقرأ الرسالة بالعكس، وقم بتغيير فواصل الكلمات لكي تفهم الرسالة على النحو التالي: " على كل جنود المشاة أن يجتمعوا غدًا في المكان المتفق عليه."

كما هو الحال مع معظم الألغاز، فإن الإجابة هنا أمام عينيك، مثل نفس الشيء في السؤال رقم " 4 " لكي تصل إلى الإجابة الصحيحة لابد أن تتواجد مرونة العقل لكي تستكشف بسرعة كل الاحتمالات فالغرض هنا أن تبدأ في تحليل كل مجموعة من الحروف بشكل فردي. نحن نميل دائماً إلى وضع الحواجز المصطنعة بين مجموعات الحروف، وعلى كل حال فالإجابة التي تبحث عنها لابد أن تكسر تلك الحواجز، لأن هذا هو الذي سيمكننا من فهم الرسالة كاملة.

8-العلاقة بين كل كلمتين هي اشتراك بعض حروفها الوسطى لتكوين اسم بلد.

برومـاء _ روما

نعم انتظر _ عمان

أباريسرا _ باريس

سقط رأساً _ قطر

الإجابة هنا موجودة أمام أعيننا، فالسؤال يطلب منا أن نبحث عن علاقة بين كل كلمتين، والمشكلة هي أن العديد من الناس يعتبرون كل كلمتين كأنهما كيان واحد ولا يبحثون عن الروابط بين تلك الكلمات، فمن الضروري أن تكسر الحواجز المصطنعة التي يخلقها العقل حتى تكون قادراً على إيجاد الحل.

9-الكومة الثالثة هي نشارة الخشب.

من الضروري في هذا السؤال أن تستخدم درجة من التفكير

التشعبي لكي تدرك أكثر مما يخبرك به السؤال، فتظهر الحقائق بسيطة جدًا، فاثنتا عشر قطعة متساوية (حقيقة أنها متساوية هي أسلوب " Meguffin ") ونتج عنها كومتان كل منهما تتكون من 6 قطع، فأول ما سيخبرنا به حدسنا عند ضعف الإدراك أن الكومة الثالثة ربما جاءت من مصدر آخر خارجي وفقط عندما ندرك بعقلنا عملية نشر قطعة واحدة سميكة من الخشب، سندرك أن كومة الخشب الثالثة هي في الحقيقة كومة نشارة الخشب.

10-إذا كانت له أرملة فمعنى هذا أنه ميت، وبالتالي لا يستطيع أن يتزوج أي أحد.

مرة أخرى يوجد هنا أسلوب " Meguffin ". فليست هناك صلة بصحة الأمر شرعياً بالنسبة للسؤال، ولكن انعدام الصلة هذا قد حقق الأثر المطلوب عند كثير من الناس بإدراك زائف للمشكلة، وكذلك تحويل تركيز الاهتمام بعيدًا عن اللغز، الشيء الوحيد الذي له صلة الموضوع في هذه الحالة هو إذا كان للرجل أرملة فمن المؤكد أنه قد مات.

التقويم

الدرجات من 30-25 -حاد الملاحظة مع إدراك قوي.

الدرجات من 24-20--حاد الملاحظة مع إدراك جيد.

الدرجات من 23-18 ملاحظ جيد وإدراك معقول.

الدرجات من 17-14 ملاحظ جيد مع تشويش إدراكي بسيط.

الدرجات من 13-8 ملاحظ معقول مع تشويش إدراكي

أقل من 8 تشويش إدراكي قوي. (الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، 2018)

الوقاية من التشويش الإدراكي وعلاجه

قد يزداد التشويش الإدراكي عند الفرد المصاب به لدرجة رؤية الهلاوس والضلالات والوصول لحالات من الهوس وعدم الإحساس بالزمن ثم التحول للمرض العضوي الذي قد يشمل الصداع النصفي الحاد والمزمن والمعروف بالشقيقة، الإرهاق المستمر، الخرف المبكر، أمراض المخ، ضغط الكلام مثل عدم القدرة على ضبط الانفعالات أثناء الكلام ومن ثم يخرج بلا وعي أو ضبط وغير ذلك من أمراض وأعراض مرضية. للحد والوقاية من التشويش الإدراكي ينبغي عمل جلسات لتصفية العقل الباطن ويفضل ان تكون مع متخصص أو بعيدًا عن الناس وعلى فترات متباعدة وألا تكون مكثفة بحيث يفصح المرء لنفسه عما يؤرقه ويخاف منه حاليًا وسابقًا ومستقبليًا ويعبر مع ذاته عن حالته النفسية والمؤرقات الذهنية التي قد يراها من حين لآخر سواء في نومه أو في أحلام يقظته، من الضروري كذلك التعبير عن الحوداث الكارثية التي مر بها الفرد وشعوره حيالها بكل حيادية، شعوره حيال ذويه ومن يحبهم ومن يكرههم، شعوره تجاه الرب وتوقعاته منه والمخاوف التي قد تطرق ذهنه وتتحول لوساوس تقهره ليل نهار، عملية التصفية تلك تساعد

كثيرًا في تنقية العقل الباطن وتجهيز العقل الواعي لإدراك أكبر ومن ثم إبداع ونجاح أكبر. جلسات الاسترخاء كذلك مفيدة وهامة جدًا لاستعادة الوعي الإدراكي وتنميته مع التوقف عن تعاطي أية عقاقير بلا متابعة طبية دقيقة."

توقفت عند هذا الحد من البحث والتحليل الخاص بالتشويش الإدراكي ورحت أراجع حالة محمود عبد المجيد فالنموذج الذي أمامي يحتاج الكثير من الجلسات لمعرفة ماهية المرض الذي يحمله جسديًا وعضويا وللوصول لأفضل الطرق لعلاجه، شعرت برغبة في النوم لكنني لم ألبيها، منذ علمت بقدرتي على اقتحام مجالات الحلم الخاصة بمن هم حولي وأنا مصاب بخوف ورهاب من الدخول في مجالات قد تكون مؤذية لعقلي ففكرت في حماية مجالي العقلي بعمل جلسات استهواء لعقلي الباطن بحيث ينظم اقتحامه لأحلام الغير ويستعد لها كذلك، فتحت موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك الخاص بي ولم أجد رسائل من نهى هذه المرة، يبدو أنها كذلك أغلقت مجالها العقلي على فلم أعد أستطيع استحضار تلك النشوة المتصلة بيننا، راسلتها ولم ترد، اعتذرت وبررت موقفي السخيف بأنني مرهق وأعاني من اضطرابات عصبية بسبب مشاكل مرضاي، لم أخبرها بالطبع عن اكتشافي الهام لوجود تنافر معرفي حاد في شخصيتي التي تتأرجح بين محمود ياسين الطبيب المتأنق المتحضر ومحمود المصري الصعيدي ذلك الذئب الرجعي الذي يرتدي جلباب أسلافه البدائيين. تواصلت كذلك مع أستاذي جاكوب شرودر وحددنا موعدا

لسفري لألمانيا، أخبرت نهى بموعد السفر ربما تتعاطف معي وتجيب على رسائلي.

حقيقة علمية

«لا تتخيل ما تخاف منه أبدًا فتخيلك له يعلي من احتمالية حدوثه وكلما كان التخيل متقنًا ومكررًا كلما زادت تلك الاحتمالية. «

عندما تحدثت مع دكتور جاكوب شرودر، طلبت منه معرفة طبيعة النشاط الخاص بالمركز الذي يديره في ألمانيا وطبيعة الأعمال التي يمكنه إسنادها لي أو مساعدتي له فيها خاصة بعدما علم بقدراتي على اختراق الأحلام والمجالات العقلية المختلفة وتحويل مسار الحلم الخاص بي وبغيري والتحكم في عقلي الواعي من خلال عقلي الباطن. أرسل لي دكتور شرودر نبذة عن مركزه الخاص للعلاج النفسي بألمانيا كما حدثني عن مساعدته سونيا وطبيعة عملها معه. فكرة المركز إبداعية ومبتكرة، قد لا يصل المرء لحقيقتها وماهيتها وربما شابني بعض القلق من تلك الفكرة لكنها فريدة وجديدة، لا أعلم لم تخيلت أنها جزء من جهاز مخابرات عالمي أو مافيا عالمية رغم براءة نشاط المؤسسة ظاهريًا لكن أخبرني الدكتور جاكوب أنه يستخدم ذات التقنيات المذكورة في كتاب: «كيف تصنع مريضًا» وأن الكتاب الأصلي لديه بالفعل وأنه سوف يكلفني بعدة مهام للتعامل مع نزل المركز حيث أنهم ينتمون لبعض التيارات السياسية العالمية وكذلك بهم أقليات دينية عالمية وخريجي معاهد عسكرية ومعتقلات

عالمية كسجن أبو غريب وجوانتانامو ومعسكرات داعش كما أشار في فخر لوجود بعض الشخصيات العالمية من المتهمين بجرائم إرهابية ومختلين عقليا هربوا من أحكام مفروضة عليهم. تخيلت نفسي واحدًا في خلية إرهابية أو أداة لنظام سياسي قمعي للتحكم في الأفراد وغسيل العقول وتخيلت نفسي معتقلًا ومعرضًا لغسيل المخ وعندها توقفت تماما عن التخيل فلا داعي لتصور أشياء يجهلها العقل الباطن فلو كونت له فكرة عنها ودعمتها بالصور والخيالات المركزة فقد يسعى رغما عني للوصول لتلك الصور وتحقيقها. أتذكر حين كنت مراهقا، كنت أحاول بدافع الخوف طرد الخيالات الجنسية المقيتة التي قد تطرأ على عقلي بتصور قصة حب راقية مع فتاة جميلة خيالية بدلا منها، لم أسمح لعقلي الواعي ببرمجة عقلي الباطن بشكل خاطئ وقد تم ذلك بغير علم مني بتلك الحقيقة القائلة بإمكانية حدوث ما نتخيله كلما قدمنا لعقلنا الباطن صورة واضحة عنه ودعمناها بالشعور الجسدي كذلك. إن الرجل الذي يغتصب إحدى محارمه أو فتاة بريئة ثم يعود لينكر ذلك على نفسه قد عانى كثيرًا من سيطرة عقله الباطن على عقله الواعي ودفعه ذلك ربما للعبث في مخيلته بكل ما هو متاح وغير متاح في واقعه وبالتالي يدعم العقل الباطن ذلك الفعل ولو رفضه العقل الواعي كحقيقة واعتبره مجرد خيالات، رفضت فكرة أن أنغمس في خيالات لرجال أو نساء يقومون بغسل مخي أو اعتقالي وتدمير عقلي الباطن ومن ثم الواعي وتذكرت سعاد حسني في فيلم: «أين عقلي» لقد ساعدها

عقلها الواعي كثيرًا فرفضت تخيل كونها مريضة بالفعل أو واهمة مما ساعدها على علاج القلق لديها وعلاج زوجها كذلك. وجدت حينها أن أمامي خيارين فقط: إما التراجع عن التجربة والبقاء في مصر والبحث عن جامعة جيدة وأستاذ مميز لمتابعة رسالتي ودعمها أو السفر فورا لألمانيا وخوض التجربة كاملة بما قد تحمل من سلبيات وإيجابيات: ماذا تفعل لو كنت مكاني؟ نعم، أنا أيضا قررت السفر ولكن كنت أحتاج تشجيعًا ما وعندما اتخذت هذا القرار فوجئت برسالة من نهى تطلب مقابلتي في مكاننا المفضل.

حقيقة فنية

"الجماهير دائمًا تصدق الممثل الجيد. الممثل الجيد لا يمكن أن يكون صادقًا فهو يمثل لكن كلما كان يمثل بلا صدق، كلما صدقه الجمهور لكن عليه أن يصدق نفسه ليصدقوه وهنا تكمن محنته."

هذه المرأة ليست بريئة كما ظننت، لقد تعمدت إيهامي بغضبها وجعلتني أصل ليأس من مجرد ردها على رسائلي مما أعلى شعور الذنب عندي وأضعفني أمامها فقد وجدتني متيما هائما بها أرسل لها رسالة كل يوم وأستعطفها لتقابلني قبل سفري، آه يا نهى، إنك تغسلين مخي وروحي وأنا أعشق ذلك بل وأدركه تمامًا. نهى عصام الإعلامية الجميلة المميزة قد جعلتني مريضًا بها وأنا سعيد بذلك، فلم لا، في خضم الحياة المربكة لا شيء أجمل من المرض بامرأة رائعة مجنونة، نشوة حضورها كنشوة غيابها تغسل لك عقلك المرهق

بخيالها الرائق وحلمها الخطير. أخطر غاسلي العقول هم الاعلاميين ودارسي القانون فما بالك لو جمعت بينهما؟ فهي إعلامية خريجة كلية الحقوق ولم أر مثلهم في السيطرة على الأفراد ولو بدا معظمهم فاشلا في الحياة والعمل لكن تجد قدراتهم للسيطرة على الأفراد موجودة دائمًا ولو على نطاق الأسرة أو العمل أو الحي الذي يقطنونه. تبقى الحقيقة أنني كذلك غسلت مخها الجميل ووضعتني في مخيلتها واخترقت عقلها الباطن وأمرضتها بي فما أروعه من مرض متبادل ومتواصل ومتجدد بلا ملل.

اقتربت من طاولتي بمشيتها الخفيفة الرشيقة لتقترب مني وتسحب الكرسي المقابل لي وتضعه بجواري في وضع حميمي محبب لي، أشرق وجهها مع إشراقة شمس الضحى فبدت كجنية من جنيات الأساطير أو ساحرة تعد لي حيلا غامضة غير مألوفة ترفع من سقف الشغف لأقصى حدوده، ثبتت عينيها في عيني ثم فتحت شفتيها الناعمتين:

-ستظل طويلا في ألمانيا؟ لو كنت مكانك لسافرت ولم أعد هنا أبدًا.

ابتسمت لها:

-كلامك مضبوط ولكن، أين صباح الخير يا محمود أو اشتقت لك أو أي شيء مشابه لذلك؟

ابتسمت قائلة في دلال:

-صباح الخير، ستظل طويلا بالخارج؟

-لا أدري ربما ستة أشهر على الأقل، ألست غاضبة مما فعلت معكِ؟

ضحكت ومالت برأسها نحوي فتنسمت رحيق عطرها:

-في الواقع لا، لو لم تفعل ذلك كنت اعتبرتك غير طبيعي.

دخلنا سويًا في موجة من الضحك ثم قلت:

-أنتِ مجنونة، إذن لم غادرتني غاضبة؟

-إن لم أفعل هذا فأنا غير طبيعية إذن.

ضحكت من ردها وتساءلت:

-لست قادرًا على فهمك نهى، ماذا تريدين إذن؟

نظرت بقوة في عيني وأجابت في سرعة:

-هو ذاته ما تريد أنت ولكن بطريقة أخرى، ربما استطعنا السفر سويا وساعدتنى في إيجاد فرصة للعمل هناك.

اعتدلت في جلستي وفكرت قليلًا قبل أن أقول:

-تقصدين الزواج بالخارج؟ هل تعتقدين ذلك مشروّعا ناجحًا؟ لاحظي أنا وانت لدينا سوابق زواج فاشلة.

-أمامك فرصة السفر، فكر وأنا أيضًا أفكر، أنت بالنسبة لي شخص مستحيل أن يتكرر، هناك سلام بيني وبينك وجنون وحرب وخيال يعطون للحياة طعم ومعنى جديد ومثير ما يفتح مجالات

الابداع على أوسع أبوابها كما أنك رجل جذاب و...

نظرت لي في شقاوة ودلال:

-وأعجبتني.

ضحكنا سويًا مرة أخرى واتفقنا أن يكون لقاءنا بعد عودتي من السفر حتى يتاح لكلينا فرصة التفكير في الزواج وكيف يمكن أن يتم بنجاح أو أن أحاول أنا توفير فرصة عمل لها معي بالخارج. غادرتها وأنا سعيد لأنها ساعدتني على اتخاذ قرار نهائي بالسفر وشجعتني عليه، كنت ممتلئ بالسلام وفي عقلي طاقة إيجابية تمكنني من مواجهة المجهول الذي ينتظرني وربما النجاح في مهمتي هناك.

ركوب الطائرات متعة وعندما يكون الحلم أثناء الطيران رائقًا جميلًا تصبح المتعة مضاعفة، أغمضت عيني واستسلمت لنوم هادئ توقعته بلا أحلام أو ربما بعض أضغاث الأحلام، كنت قد رغبت ألا أدخل عقلي الواعي في نشاط عقلي الباطن في الفترة التي تسبق السفر فتوقعت ألا يحاول عقلي الباطن اختراق مجالات مختلفة لكنني عندما أغمضت عيني فوق السحب البيضاء تهادت الطائرة بي يمنة ويسرة حتى كدت أسقط من فوق بساط الريح الذي رأيته تحت قدمي لامعا مزركشا، كنت حينها في ملابس تشبه ملابس علاء الدين صاحب المصباح السحري وفي يدي كتابا كتب عليه عنوان: اللطائف العربية والقطائف النورانية، لم أدرك أو أفهم معنى لهذا العنوان سوى أنه يسير على نسق عناوين الكتب العربية القديمة مثل كتاب الأغاني للأصفهاني والطرائف واللطائف في الأضداد أو طرائف

العرب ولطائف الأدب وما إلى ذلك، جلست فوق البساط وفتحت كتابي الملون، وجدت فيه صورة لامرأة نادرة الجمال، زنجية سوداء ذات بشرة لامعة ناعمة وشعر أسود ناعم منسدل وملامح وجهها بارزة في فتنة، ترتدي زيًا عربيًا شبه عاري يبرز ملامح جسد ممشوق قوي وأنوثة ملفتة، نادتني في إغراء فلبيت نداءها وخطوت بقدمي داخل الكتاب. تبعت المرأة حتى وصلت لمبنى صغير مصنوع من الحجر بأعلاه كشاف ضخم يطلق ضوء أصفر قوي يواجه به حيوان يشبه الجمل أو اللامة وله قرون غزال، يعلو الحيوان رجلًا يشبه جنديًا يرتدي ملابس حمراء قريبة من ملابس الجنود مع غرابتها ويخرج من قلب المبنى يد حديدية إلكترونية تقدم طعام في طبق للحيوان ذاته، نظرت للمرأة وسألتها:

-أين أنا؟

نظرت حولها ثم قالت في صوت معدني مجوف:

-مخطوطة سيرافيني. أمامك الكثير من المتعة والسعادة.

سألتها في فضول:

-ومن أنت؟

أجابت:

-أنا الجنية حارسة الكتب، تعال معي أيها العربي الوسيم.

أعطيتها يدي لتمر بي في حقل من أشجار الليمون الصغيرة التي تلقي بنفسها في النهر أمام الحقل، سألتها وأجابتني:

-لماذا ينتحر الشجر؟

-يشعر بالضجر.

-وهل هذا من العدل؟

-لا بل من القدر، جذوره ممتدة في الماء وبه يخرج الثمر.

سرنا حتى وصلنا لرجل وامرأة في فراش يتحولان لتمساح حيث تخضر أطرافهما تدريجيا ثم تظهر الحراشف فيتكون التمساح ويسقط في النهر، سألتها مرة أخرى لتجيب:

-من هؤلاء؟

-هؤلاء ضحايا الملل.

-يتحولان لوحش؟

-أحيانا يصبح القتل أمل.

خرجنا من ضفة النهر ثم توجهنا لمكان يشبه المختبر فيه رجال رؤوسهم تشبه الفطر يقومون بتعليق جثث لبشر وحولهم هياكل عظمية تجلس على كراسي، عندما فكرت في سؤالها ظهر رجل طويل أعرفه جيدا، دكتور جاكوب، سألته:-

-أنا في حلمك أستاذي؟

قهقه بصوت مرتفع ثم قال:

-لا يا عزيزي، ما زلت غير صاحب خبرة تمكنك من اختراق حلمي، هذا مجال وهمي من مجالاتي العقلية جهزته لك خصيصًا ليوهمك

انك في عقلي وفي حلمي.

نظرت حولي:

-المكان رائع والمجال رائق للغاية وكأنني في مخطوطة سيرافيني بالفعل.

ابتسم قائلًا:

-لا تقلق تلميذي التجيب سأعلمك بعضًا من حيلي، فقط عد وأكمل رحلتك وسينتظرك الكثير من المرح والعلم هنا، نظرت للمرأة الزنجية وسرت النشوة في جسدي، نشوة تختلف عن نشوة شعوري بنهى، ما زالت نشوة شعوري بنهى هي الأفضل حتى في الحلم والوهم.

أفقت على صوت مضيفة الطيران وأنهيت إجراءات الوصول، كنت على استعداد لزيارة المركز فور وصولي لكن طلب مني الدكتور شرودر أن أستريح حتى زارني هو في اليوم التالي لوصولي واصطحبني معه للمركز، مركز فوضى المشاعر.

* * *

مركز فوضى المشاعر

نورنبيرج، السحر والجمال، أسواق الزهور، عربات صفراء لامعة تجرها الخيول، بنايات حديثة بألوان زاهية وبنايات عتيقة بنيت على الطراز القوطي المدهش حيث الأبراج العالية المطلة على الأنهار والجسور الدائرية تمر من فوقها في ألفة وألق. اقترب دكتور شرودر بسيارته من بناية قديمة ذات طابع معماري قوطي عتيق تتألف من مبنى مربع في الواجهة يعلوه برجان من اليمين واليسار، المبنى والأبراج مقسمة جميعًا إلى عدة طوابق ويعلو البرجين قمم خضراء مدببة في داخل كل منها ساعة دائرية تقليدية تعمل بشكل جيد. دلفت معه للداخل حيث باحة واسعة معبدة بالنجيل الأخضر، بها عدد من التماثيل الحجرية ذات الطابع القوطي كذلك، تتوسط الباحة نافورة مياه هادئة تعيد تدفق الماء ليلقى بصوته العذب على المكان فيزيده بهاءً وروعة. عبرنا الحديقة للمبنى الرئيس حيث يختلف معماره من الداخل فيتميز بمعمار حديث الطراز لكنه ما زال لا يعبر عن مستشفى ربما كان أقرب للفندق وما زال يتميز بالجمال والرونق الخاص. وصلنا للمصعد حيث استقبلتنا عنده سونيا مساعدة الدكتور، سمراء ذات جمال مائل للجمال الإفريقي وتشبه كثيرا تلك الجنية التي رأيتها في حلمي داخل الكتاب، جسد

ممشوق وعيون لافتة وبشرة سمراء ناعمة وشعر أسود مسترسل، رحبت بنا سونيا وتبادلنا عبارات الترحيب المعتادة. درست الألمانية منذ المرحلة الثانوية وعززتها بالدورات التدريبية بعد ذلك فلم أجد متاعب في تواصلي معهم في ذلك المكان المميز. تركني دكتور شرودر لسونيا لتساعدني في تفقد المكان، نزلنا بالطابق الثالث حيث يوجد عدد من الغرف وعلى كل غرفة اسم خاص فكانوا كالتالي:

غرفة الاستهواء الذاتي، غرفة الهروب، غرفة العزل، غرفة الشطح الإبداعي، غرفة الهيدروثيرابي، العلاج بالرقص، وعدة غرف أخرى غير معنونة ثم مكتب الدكتور شرودر حيث أوصلتني سونيا وطرقت الباب، شكرت سونيا وطرقت باب المكتب مرة أخرى ليدعوني دكتور شرودر للدخول، دلفت للحجرة التي تشبه حجرة ملك من ملوك الروم فتميزت بالتماثيل الحجرية والأعمدة التي يعلوها رؤوس تماثيل لحيوانات مغطاة بطلاء ذهبي ومعشقة بالخشب المذهب كذلك، مكتب عتيق وكراسي جلدية على الطراز الأمريكي جلس خلف المكتب الدكتور شرودر ينظف غليونه الخشبي الذي تناسق مع المكان كذلك ثم بعد حين من التعب والتنظيف قام أخيرا بإشعاله ونفث الدخان في تلذذ قائلًا:

-هذا تبغ جزر البهاما الأصلي، هل تود تجربته؟

اعتذرت له عن التبغ ثم سألته:

-هل لي أن أعرف طبيعة العمل الذي سوف أساعدكم فيه؟

اعتدل للوراء على كرسيه الوثير مدخنا غليونه الفخم:

-مساعدة للمرضى ومصابي الحروب للتخلص من هواجسهم وأفكارهم السلبية عن نفسهم وعن العالم عن طريق استخدام عقلك الباطن والواعي في تنسيق ما من أجل عمل استهواء لهؤلاء المساكين الغير قادرين على القيام به بأنفسهم.

-هل ستستخدم أجهزة الكترونية من اجل ذلك؟

اعتدل في جلسته ثم ابتسم ابتسامة خبيثة:

-بالطبع، كما أنني سأعلمك تقنيات للحفاظ على مجالك العقلي من الاختراق ولتنظيم عملية اختراق المجالات الأخرى عوضًا عن الطرق العشوائية التي تتبعها.

لا أعلم لم تذكرت ذلك العرض الذي قدمه لي الشيطان في حلمه، ربما تشابه العرضين ولكن رفضي لعرض الشيطان منطقي فماذا عن رفضي لعرض العالم؟ بداخلي تردد كبير وجهل وشغف للعلم يتعارضون ويتصارعون ولا يوجد وقت كاف للصراع. بدا عليه أنه يشعر ما أمر به من صراعات حين سألني:

-محمود، هل تثق بي؟

أجبته في سرعة وصدق:

-نعم، أثق بك أستاذي.

-إذن لماذا أنت متردد؟ ما هي مخاوفك ضدي أو ضد المكان؟ هل تظن أنني سأقوم باستغلالك مثلا أو تدمير عقلك؟ محمود، أنا

أعرفك جيدا وأعرف كفاءتك العلمية والعقلية وهذه فرصة جيدة جدا لك ستغير طريقك ومستقبلك المهني والعلمي فماذا يجعلك متردد متخوف؟

نظرت له وخامرتني شعور بالأمان والثقة وحب التجربة والمعرفة ثم سألته:

-هل تضمن لي سلامتي المهنية والعقلية؟

فتح درج مكتبه ثم أخرج عدة أوراق مكتوبة باللغة الألمانية ومترجمة بالانجليزية ثم قدمها لي:

-هذا نص العقد بني وبينك، اقرأ البنود جيدًا، ستعمل في المركز التابع لمؤسسة خيرية عالمية وستحصل على راتب شهري وإقامة مجانية وسنوفر لك الوقت الكافي للدراسة وللمتابعة بأي جامعة تختارها حتى تكمل زمالتك وتنهي رسالة الماجستير وسيوفر لك المركز التجربة العملية والنماذج والحالات التي ستساعدك على ذلك. استرخ في حجرتك وخذ الوقت الكاف للتفكير ودراسة العقد وعندما توقع العقد سنحتفل سويا ونبدأ العمل. هناك وقت تظهر فيه الفرص لمقتنصيها كظهور غزال بري لصياد ماهر لا تنتظر تردده، ربما تختبئ قليلًا كنوع من المراوغة لكن تظل لحظة القنص الفارقة هي مؤشر النجاح أو الفشل وعلى الصياد الماهر معرفة توقيتها جيدًا.

راقني حديثه المنظم وكذلك صيغة العقد لكن كنت بحاجة للراحة والتفكير العميق فطلبت منه فرصة لذلك:

-أمهلني فقط يومين للتفكير والاسترخاء وكذلك لتفقد المركز والاطلاع على غرفه.

نظر لي في حسم وجدية:

-أمامك عشر ساعات فقط للتفكير والاسترخاء واتخاذ القرار، لا تفقد للمركز وغرفه قبل توقيع العقد، يمكنك فقط الذهاب مع سونيا لغرفة الاسترخاء ولحصول على قدر من الراحة، عندما توقع العقد سيكون من حقك الإقامة في المركز والتمتع بكل ما فيه من علم وفكر واستجمام كذلك. أنت عالم جيد محمود وعقل مختلف نادر لا يصح أن يستمر في العمل بعشوائية وأن يكون عرضة للضياع بين مجالات العقول المختلفة، بداخلك طاقة يجب تنميتها واستثمارها لصالحك وصالح العلم فلا تضيع طاقتك عبثا.

أنهى حديثه وأشار لي بالخروج حيث وجدت سونيا أمامي فجأة ثم تبعتها لغرفة الاسترخاء وهناك اتخذت قراري الذي لا أعرف إن كان خاطئا أو صائبا. قررت البقاء في المركز وخوض التجربة حتى نهايتها ومر على عقلي الكثير من محاولات غسيل مخي وطرق حمايتي لعقلي منذ كنت طفلا في نجع عمران، كتاب الشيخ حسانين، المدرسة ومعلميها، الإعلام والصحافة، والدي العزيز، والدتي الصامتة وسيطرتها الممنهجة، عذابات المراهقة، الشياطين ومشاكساتهم معي، أهل النجع، رجال الدين، زواجي وطلاقي، أصدقائي، نهى عصام ومرضى المستشفى، العبث في مجالات الحلم المختلفة والدكتور شرودر ومركزه العجيب واسترخيت أسفل أصابع سونيا التي كانت

تقوم بمساج هادئ مريح ساعدني على اتخاذ القرار، هل ساعدني على اتخاذ القرار أم أنه جزء من تحويل عملي لأقبل العمل هنا؟ لا يهم الآن فقد وقعت العقد بالفعل وأصبحت عضوًا هامًا في مركز فوضى المشاعر.

* * *

الفصل الخامس

سونيا والمجنون

حقيقة علمية

"شئت أم أبيت، أنت ترس يتحرك بين عدة تُروس، إن تكاسلت أو توقفت، توقفت الحركة وعندها رميك خارجًا سيكون أما إن أثبتت كفاءتك فربما تنتقل لمنظومة أكثر سرعة أو أنك تصبح ترسا قائدًا ولو كنت صغيرًا جدًا."

لقطة في معسكر داعش

الظلام يسود، يوغل في رأسه، ذلك الظلام الذي يشي بأن لا بصيص من ضوء على بعد مسافات شاسعة من عينيك، الظلام الذي يصنع من العتمة طبقات فوق طبقات ليصبح الصوت عندها نفق طويل يسرق جميع حواسك، سأله صوت ذو فحيح وأنفاس لفحت وجهه: هل سمعت عن الجحيم؟ قال: قرأت عنه، قالوا له: هلم معنا لتتأكد مما قرأت، سألهم سؤالا واحدا:

"هل ستتركون لي عقلًا يتخيل في الجحيم؟" تغير الصوت بآخر أكثر حدة: "سنحاول العمل على إيجاد جهاز يمنع العقل من الخيالات السعيدة" قال لهم: "ربما لدي فرصة الآن لأعد جنتي الخاصة في رأسي تحميني من حر جهنمكم."

....

....

خلية فولفسبورج، ابراهيم باته، ذلك العريس الغاضب الذي حينما خرب أهل خطيبته حفل زواجهما بألمانيا قرر اللجوء للمسجد وهناك انضم لخلية فولفسبورج، امتلأ بذلك الحماس الذي يشع من داخل الروح، يخرج من كتب التاريخ وقصص البطولات لرجال يرتدون ملابس مختلفة عن الملابس الأوروبية التي باتت تخنقنا، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من جهاد ومقاومة للظلم والكفر وهدم لأي شيء، أي صنم يمكن أن يُشعِر المرء بأنه ما زال صغيرا، صغيرا للغاية بحجم اسم على كعكة زفاف، بحجم شجار حول الاسم الذي يجب كتابته على تلك الكعكة أو تورتة الزفاف كما يسمونها كما حدث قبل حفل زفاف ابراهيم ودمر الزيجة عن بكرة أبيها وأمها وجميع أهلها.

"أنت رجل يمكنه أنه يصبح فاتحًا ومخلصًا وقاتلًا لكل ظالم فكيف لشجار تافه أن يسقط في روحك هكذا ضعف؟" كذلك كان يخبره الشيخ ياسين في مسجد القرية، ذلك الشاب الوسيم ذو اللحية المعفاة الغير مهذبة مثله، هاتان العينان القويتان الوقحتان والصوت الهادئ وتلك الابتسامة الواثقة التي تخضع لها النساء ويحترمها الرجال وتجعل الجميع يحلمون برجل مثل الشيخ ياسين، رجل لكل النساء، كلهن سبايا حرب يخط على أجسادهن اسمه بحروف العشق العربية وصكوك الملكية، رجل لكل الرجال يرونه في مراياهم شامخًا واثقًا، هذا الأنموذج الذي تخضع له الظروف ويسجد له الحظ ويخر الأعداء صرعى عند قدميه وتحلم النساء بشرف مضاجعته، عندما

نظر ابراهيم في مرآته لم يجد الشيخ ياسين لكنه وجد هذا التافه الذي يتقاذفه رجال ونساء وربما أطفال العائلة بينهم ليقرروا له ما يفعل وما لا يفعل فخر باكيًا، هذه المرايا كاذبة ومنافقة مثلهم تماما، لابد له من مرآة مغايرة تعكس صورة الفاتح المغوار الذي يسبي النساء ويجمع الغنائم ويرفع رايات الله من جديد في كل مكان في دولة إسلامية عربية يروج لها الشيخ ياسين فلم الانتظار؟ تلك كانت البداية لهذه الحالة المنزوية في غرفة الهروب Escape room

غرفة الهروب Escape room

ومن منا لم يهرب يوما ما ومن منا لم يفكر في الهروب، الهروب من ذاتك، من أخطائك، ضعفك ويأسك، الهروب نحو اللاشيء، هناك نقطة ما تظن أنك ستجدها بعد الهروب لكنك لا تجدها فتستمر في الهروب.

اقتربت من الغرفة، الغرفة دائرية التصميم، بها عدة أبواب تؤدي لممرات عديدة وغرف أخرى ذات أحجام مختلفة جميعها باللون الأبيض، فراش صغير منزو في ركن من أركان الغرفة، يرقد فوقه ابراهيم، فراش أبيض من أربعة باللون الأبيض كذلك ككل شيء في الغرفة، اقتربت منه وجلست جواره، لم يتحرك وكأنه لا يراني، عيناه شاخصتان في سماء الغرفة، تترقق بعض الدموع فيهما لكن لا تسقط، تحدثت معه:

-لماذا لا تجرب في مهمة اليوم؟ هل تحب أن أساعدك؟

نظر إلى في هدوء ثم جلس وقام من فراشه، الغرفة بها ثلاث أسرة أخرى يرقد عليهم ثلاث مرضى في نفس عمر وحالة إبراهيم تقريبًا، غرفة الهروب تشبه لعبة الهروب تمامًا ولكنها تختلف قليلا، كل يوم على المجموعة أن تقيم بغرفة الهروب لمدة ساعتين فقط وذلك لاتمام مهمة ما ومن خلالها يتخلص المريض من خوف معين مسيطر عليه ويمر لباب آخر ومهمة جديدة فمثلًا كان على المجموعة أن تعرف كيف تفتح باب الخوف لتخرج من غرفة الهروب ولفتحه علي المجموعة أن تقوم بحل عدة ألغاز متتابعة، كان هناك ورقة صغيرة بيد ابراهيم عليها تعليمات كالتالي:

-لتهرب يجب أن تواجه- عين السمكة لا ترى العين الأخرى لكن السمكة ترى بكليهما.

نظر لي بعتاب:

-لماذا لا أخرج من باب الغرفة الرئيس؟ لماذا أنا حبيس هنا؟

أجبته:

-عليكم الخروج من باب الخوف ويجب عليكم اجتياز الأبواب الصغيرة للوصول إليه، فكر وحل اللغز وواجه حياتك، لقد طلبت العلاج وهذا هو علاجك وعلاجكم جميعًا.

كان في قلب الغرفة تمثالين بحجم الانسان الطبيعي واحد لرجل وآخر لامرأة كلاهما عاريان تمامًا، وبعض الأسلحة البيضاء من سيوف وسواطير وما إلى ذلك، كان هناك أيضًا قداحة وطاولة صغيرة عليها

بعض الأدوات وراح الثلاثة رجال يقلبون النظر في الغرفة، -جميعهم من هاربي داعش- يبحثون عن عين السمكة تلك، تركتهم يبحثون عن مفاتيح الألغاز وخرجت مغلقا عليهم الباب الرئيس وتوجهت نحو غرف الإدارة لكتابة تعليقاتي حول تصرفاتهم ومتابعتهم عبر الشاشات التي تنقل ما يفعلون في الغرفة. جلست أمام الشاشة المرتبطة بكاميرا المراقبة وظللت أتابعهم، اقترب ابراهيم من تمثال الرجل العاري ليجد ثقب صغير في عنقه، يقترب منه ليجده يشبه سمكة صغيرة، يهرع نحو الطاولة ليجد مفك صغير يحاول به الوصول للسمكة، يقترب آخر من تمثال المرأة ليجد سمكة أخرى تحت شفتيها داخل ثقب صغير كذلك فيحاول معالجته بمفك آخر فلا يفلح، ينظر لإبراهيم في غضب:

-يجب أن نخرج من هذا المكان التعيس بأي طريقة، أشعر كأني فأر تجارب.

ينظر له ابراهيم:

-نخرج لأين؟ للسجن؟

-السجن أفضل.

يحاول ابراهيم الابتسام لكنه لا يستطيع فيقترب من الثقب في تمثال الرجل مرة أخرى ويستمر في طرقه بالمفك بقوة فيجد ورقة تظهر من ثقب السمكة فيحاول سحبها ويفتحها ليقرأ:

-الحل دائما في الرأس.

ينظر أحدهم لرأس التمثال المصنوعة من مادة تشبه السيليكون ويقول:

-فلنقطع الرأس بأحد الأسلحة.

يصرخ إبراهيم ويدخل في حالة من الصراخ المستمر عند سماعه لتلك الكلمات، أقترب بوجهي من الشاشة لأراه يعود مرة أخرى لفراشه ويضع رأسه في الوسادة كيلا يرى شيئًا، يقترب واحد من الثلاثة من الطاولة ويحضر سيفا ضخما ليقطع به رأس التمثال فيخرج منها سائلًا أحمر يشبه الدماء تمامًا فيدخل يده في داخل الرقبة ليخرج مفتاحًا صغيرًا يتخاطفونه فيما بينهم هو وزملاؤه بينما يظل إبراهيم راقدًا يصرخ، يركض أحدهم ومعه المفتاح ويقترب من الأبواب الصغيرة في أركان الغرفة الاسطوانية ويحاول فتح الأبواب التي لا تستجيب فيدخل في شجار مع زملائه يصل لضربهم لبعضهم بعضا واتهام بعضهم البعض بالغباء وقلة الحيلة، يقوم ابراهيم من مكانه فجأة ويلتقط المفتاح من يدهم ويغوص بجسده تحت الطاولة الصغيرة ليدخل المفتاح في ثقب صغير بالأرضية يشبه السمكة قائلًا:

عينا السمكة لا تريان بعضهما البعض.

يضغط على المكان لينشق عن باب صغير يهرع نحوه الرجال ليجدوا سلما ينزل لأسفل حيث يهم أحدهم بغلق الباب فيصرخ آخر:

-لا، اتركه مفتوحًا فربما هناك ألغاز أخرى بالحجرة العلوية، هناك تمثال المرأة والأدوات كذلك.

ينزل الرجال وأنتقل لشاشة أخرى أراقبهم منها في الغرفة السفلية، يبدو عليهم جميعا الانهاك فيرقدوا على عدد من الأسرة المماثلة لما في الغرفة العلوية ويرقد كل منهم على سريره كالنائم فقد انتهت مدة المهمة وسينتظروا حتى يدق جرس المهمة الجديدة.

يد ناعمة تمر فوق عنقي من الخلف، أعرفها جيدًا، يد سونيا، تقترب مني، تنطق بصوتها الناعم:

-أنت لا تتعب من العمل؟ ما رأيك في جلسة استرخاء؟

يداها الناعمتان تلتفان حول رقبتي في رقة بالغة، أنظر لوجهها وملامحها البريئة السمراء وشعرها الأسود الفاحم، أشك هل هو شعرها حقا أم باروكة، تبتسم لي قائلة:

-هذا شعري الحقيقي ولكن به خصلات تطيله.

ابتسم وأتعجب كيف قرأت أفكاري، تكرر:

-جلسة استرخاء؟

أجيبها في رقة:

-لم أكتب تقريري بعد عن حالات الهاربين من داعش.

تسحبني من يدي:

-بعد الجلسة ستكتبه بشكل أفضل.

ذهبت معها لغرفة الاسترخاء، خلعت كامل ملابسها وطلبت مني ذلك، ظننتها دعوة صريحة للجنس فترددت، المرأة غاية في الجمال والرشاقة والفكرة مغرية لكنها هزت رأسها نفيًا في هدوء وقامت

بتشغيل موسيقى غريبة في الغرفة قائلة:

-لا جنس الآن، فقط استرخاء كامل ومتعة صافية، لا تفكر في شيء وتعال.

شعرت بالموسيقى مرعبة، أجلستني على فراش مائي بعدما خلعت كامل ملابسي، لا أعرف لماذا وافقتها ولم أرفض؟ لا أستسلم للنساء عادة بل أطوعهن وفق ما أريد أنا لكن سونيا مختلفة ولا أدري كيف، استلقيت على ظهري لكنها ابتسمت وحركت ذراعي لأستلق على بطني، الفراش ناعم جدا والموسيقى مرعبة لكنها قوية ومثيرة، شعرت بكل خلية في جسدي ترغبها فحاولت جذبها للفراش لكنها راحت تمر بأصابعها المليئة بزيت ذو رائحة لطيفة فوق جسدي بهدوء قائلة بصوت هادىء:

-هششش، لا تتحرك، دعني فقط أقدم لك متعة مختلفة.

راحت تمر بأطراف أصابعها علي جلدي بقوة، لمساتها غريبة تضغط على الأعصاب فينتفض جسدي ثم يهدأ ويسترخي، كدت أبعدها عني لكنني تركت جسدي للتجربة. أمسكت كفي في يدها وراحت تضغط بأظافرها داخل أظافري بقوة حتي سحبت يدي من الألم لكنها فعلت ذلك مرة أخرى، في تلك المرة شعرت بمتعة مع الألم، متعة جديدة لا تتحرك لها أعضائي أو تستفز، أظافرها قصيرة وليست حادة لكنها قوية تخترق اللحم خلف أظافري، استسلمت للمتعة الجديدة تمامًا، حاولت تقبيل يدها لكنها دفعتني بلطف وأغلقت عيناي، راحت تقبلني في هدوء قبلات خفيفة فوق ظهري ثم

استلقت بكامل جسدها فوق ظهري وراحت تهمس في أذني بكلمات بلغة لا أعرفها لكنني استسلمت للنوم تمامًا.

نصيحة فنية

الاسترخاء جميل والمتعة رائعة لكن تذكر لا يوجد شيء مجاني فلكل شيء ثمن فاسترخ وادفع أو فتحمل القلق.

استيقظت لأجدني ما زلت في ذات الغرفة، شعرت براحة كبيرة جدًا في جسدي، ذكية سونيا تظن أنني سأدفع ثمن استرخائي وراحتي لكنني اعتدت على الحصول على ما أريد دائمًا بلا خسائر تذكر، تظن أنني سأشتهيها وأركض خلفها بحثًا عن مزيد من المتعة لكنني اكتفيت، لم أترك عقلي يسرح في تفاصيل جسدها الرائع ولمساتها الناعمة فهذا هو ما تريده هي وشرودر، أن أركض خلف المتعة، لست مغفلًا لأغفل ذلك فما يريده الدكتور شرودر هو السيطرة علي عقلي تمامًا ولكن هناك متعة واسترخاء فلأغرف قليلًا منها وأترك ثلثي عقلي صافيًا فالعقل والمعدة متشابهان تماما وصوم العقل صحي كصوم الجسد ولكن لا مانع من تذوق ما يقيم صلب العقل من المتعة والجسد من الاسترخاء. ارتديت ملابسي وتوجهت نحو غرفتي الخاصة لأكتب تقريري عن حالات داعش وكذلك لأرفق بعض البحوث برسالة الماجستير خاصتي. رأيتها في طريقي وتلاقت عينانا، اقتربت منها في هدوء ثم دفعتها بعنف نحو الحائط، قبلت شفتيها قبلة عميقة طويلة ارتعشت لها فلم تتوقع ذلك هذه المرأة

المبرمجة لغسل عقول الرجال، نظراتها توحي بالسعادة وانتظار المزيد لكنني تركتها مندهشة ترتعش وتلتصق بالحائط ثم أكملت طريقي نحو غرفتي وتركتها لعقلها الجميل ليفكر هو بي بدلًا من أن أنشغل أنا بها.

حقيقة علمية

لابد من وجود شاغل ومشغول في أي علاقة تجمع رجل بامرأة وأجمل العلاقات هي تلك التي يكن فيها الطرفان في حالة انشغال.

جلست في غرفتي، فتحت جهاز اللاب توب الخاص بي ورحت أدون:

التشفير العميق Deep Encryption والتشفير بالنموذج

ومن التقنيات المذكورة في الكتاب تقنية التشفير العميق وتقنية الشفير بالنموذج وهي تقنيات غير مذكورة في تاريخ علم النفس ولكن يمكننا الحديث عنها من خلال التطرق للتشفير كظاهرة علمية كالتالي:

التشفير Encryption

أطلق عليه العلماء المسلمين العرب قديمًا علم التعمية وهو عبارة عن عملية تحويل البيانات والنصوص المقروءة إلى صيغة غير مقروءة الا للأشخاص أو الجهات المصرح لهم والذين يمتلكون الطريقة الخاصة بإعادة تحويل النص الغير مقروء (المشفر) إلى نص مقروء والتي تدعي بعملية "فك التشفير".

أنواع التشفير

التشفير المتماثل : Symmetric حيث يتم في هذه الطريقة استخدام مفتاح واحد للتشفير ولفك التشفير، أي أن نفس المفتاح الذي استخدم في عملية التشفير هو نفسه الذي يستخدم في فك التشفير.

التشفير الغير متماثل : Asymmetric حيث يتم في هذه الطريقة استخدام مفتاحي تشفير، الأول لإجراء عملية التشفير والثاني لإجراء عملية فك التشفير.

يوجد كذلك تصنيف التشفير كتشفير كلاسيكي أو ما يسمى بتشفير قيصر وتشفير حديث أو خوارزمي كالتالي:

يعتمد التشفير الكلاسيكي على إجراء التعديلات على الأحرف بينما يعتمد التشفير الحديث على إجراء عمليات على الأرقام الثنائية

يعتمد التشفير الكلاسيكي على الغموض وإبقاء طريقة التشفير مخفية وغامضة ومعروفة فقط لدى المرسل والمستقبل أما التشفير الحديث فيعتمد على خوارزميات رياضية معروفة للجميع ويتم حماية البيانات من خلال مفتاح تشفير سري.

يلزم أن يتم معرفة نظام التشفير بشكل كامل لإرسال البيانات المشفرة بين الطرفين في التشفير الكلاسيكي أما في التشفير الحديث فيلزم فقط مفتاح التشفير

هناك كذلك أنواع عديدة من التشفير للرسائل مثل تشفير مورس

والذي يعتمد على نغمات الصوت والإشارات فيجعل لكل حرف نغمة صوتية معينة أو عدة إشارات ومن خلال تحديد النغمات يتم إرسال الرسالة على هيئة صفير أو نغمات صوتية يعرفها المرسل اليه فيدرك الرسالة.

ويقوم تشفير مورس بوضع عدة رموز مقابلة للأحرف لتتم استخدامها كالتالي:

A ·−	M −−	Y −·−−
B −···	N −·	Z −−··
C −·−·	O −−−	1 ·−−−−
D −··	P ·−−·	2 ··−−−
E ·	Q −−·−	3 ···−−
F ··−·	R ·−·	4 ····−
G −−·	S ···	5 ·····
H ····	T −	6 −····
I ··	U ··−	7 −−···
J ·−−−	V ···−	8 −−−··
K −·−	W ·−−	9 −−−−·
L ·−··	X −··−	0 −−−−−

تدريب:

حاول إرسال رسالة لصديق عن طريق استخدام شفرة مورس الخاصة بك والتي ستقوم فيها بتغيير بعض الرموز كما يرق لك أنت وصديقك فمثلا يمكنك استبدال حرف S بأربع نقاط أو خمسة بدلًا من 3 أو بإضافة شرطة ليكن لديك شفرة مورس الخاصة بك أنت وصديقك وحدكما وبهذا يمكنكما تبادل الرسائل بسرية تامة بحيث لا يمكن لأحد أن يطلع على فحواها ويفهمها سواكما فقط.

تغييراتك في الشفرة الجديدة

....

....

....

الرسالة

....

....

كما يوجد تشفير قيصر وتشفير النقر ونتطرق هنا لتشفير النقر

شفرة النقر(Tap Cipher)

قيل إنها اخترعت في السجون في حرب فيتنام، استخدم فيها المساجين مزيجًا من شفرة مورس وشفرة قيصر، ليتم دمجهمها في شفرة تستعمل جدول خماسي من الأرقام من واحد إلى خمسة

في صف ومن واحد إلى خمسة في عمود، وعليه يقوم المساجين بتكوين كلمات.

يستخدم فيها المساجين رقمين لتحديد الحرف المستخدم ومن ثم يقومون بكتابته على هيئة شفرة مورس في مجموعة من النقاط والشرط القصيرة والطويلة، ويستخدمون الشرطة المائلة للفصل بين الكلمات بينما تُستخدم الفاصلة (،) لتحديد الأرقام التي يستخدمونها.

تدريب

حاول صنع شفرتك الخاصة باستخدام الأحرف وما يعادلها من أحرف أو أرقام أخرى وتبادلها مع صديق لك فيمكنك وضع أرقام مختلفة تعبر عن الأحرف مثل وضع أرقام مختلفة عن تلك في شفرة النقر مثل 4، 8، 16، 32، 64 بدلا من 1،2، 3،4، 5 على التوالي ثم

جرب كتابة رسالة بهذه الطريقة:

شفرتك الخاصة

....

....

الرسالة

....

....

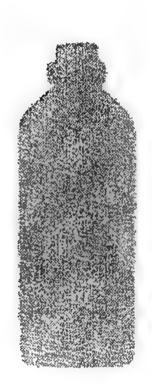
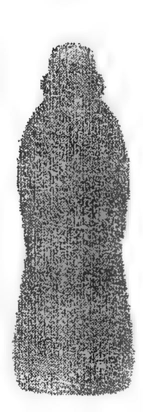
....

وبهذا يتضح لنا أن التشفير عملية منظمة لنقل رسائل بطريقة ما لمتلق يجب أن يدرك شفرة تلك الرسائل حتى يفهمها ولكن ماذا لو لم يكن المتلق وعقله الواعي على دراية بتلك الشفرات وطرق فكها؟ هل يستقبلها العقل الباطن وهل توجد طريقة في العقل الباطن للانسان بفك الشفرات دون علم أسرارها وكيف يمكن استخدام ذلك الأمر في توجيه وغسيل العقول واختراق العقل الباطن للانسان وزرع أفكار دون ادراكهم المباشر؟

في الكتاب المثير Chaos-based Cryptography أو التشفير المبني على الفوضى يذكر (ليان وكوكاريف، 2011) أن نظرية الفوضى مرتبطة بنظرية معالجة الإشارات وتعتمد على الظروف الداخلية لحالة الجسم ومحور الاهتمام الذي تدور حوله

حالة الجسم ومن ثم من الممكن زعزعة حالة الثبوت للجسم الثابت عن طريق شفرات خاصة. ربما يبدو الأمر معقدا وذو صلة بمسائل رياضية ولوغاريتمات تتصل جميعها بعلوم الفيزياء والحركة ولكن وجد أن التشفير المبني على الفوضي يمكُن استخدامه كذلك في مجال علم النفس فتعالو نرى كيف يمكن ذلك.

وجد باحثون أن التشفير العميق يتم استخدامه في التأثير على قرارات الشراء والتأثير على مستوى الوعي للمتلقي لإعلانات البضائع المختلفة عبر وسائل الميديا المتعددة. ويشار لذلك بفك شفرة الواجهة بحيث أن الإدراك الحسي هو البوابة التي تدخل منها أنشطة المنتج التسويقية إلى عقل المستهلك؛ فإدراك الإشارات التي تشكل الواجهة بين العلامة التجارية والمستهلك هو الحاجز الأول الذي يجب اجتيازه بواسطة الإعلانات، ومن الممكن أن تصبح هذه الواجهة عرض ترويجي أو منتج أو غلاف منتج أو موقع ويب أو إعلان تليفزيوني يشير للمنتج مما يؤثر على عملية اتخاذ القرار. ومن هنا نجد أن هناك إشارات فوضوية ذات صلة مباشرة بالإدراك وتحديد القيمة بالنسبة لعملية التسويق ولننظر للمثال التالي:

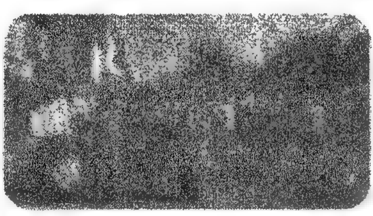
هل سألت نفسك عندما طالعت الصورة لأول وهلة: أي الزجاجتين أكبر حجمًا؟

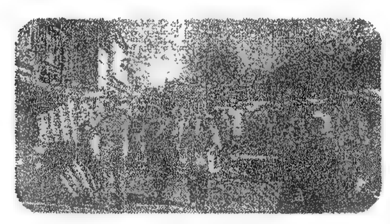
ماذا كانت إجابتك؟ أ-ب؟

في الواقع الزجاجتان لهما نفس الحجم ويحملان نفس الكمية من السائل ولكن يتوقع المستهلك أن الزجاجة أ ذات حجم أكبر وتحمل مقدار أكبر من الشراب أو السائل المراد شراؤه فيقبل عليها ويعرض عن الزجاجة ب بالطبع ويكمن التشفير العميق هنا في جعل العبوة أ ذات ارتفاع أكبر وهو ما يخدع المستهلك عند الشراء لأول وهلة.

مثال آخر على استخدام التشفير العميق في تغيير أفكار البشر وهو التأثير على العقل الباطن عن طريق الصورة فنحن لا نستيقظ كل يوم ونقول: "يجب أن نكن على حالة من الإدراك والوعي" ولكن يتم تدريب العقل الباطن على عمليات التعمية أو الادراك بشكل

مستمر فيتم خداعه أو يدرك هو ذلك الخداع ولو تم التأثير عليه بأقوى المؤثرات فمثلًا انظر في الصورتين التاليتين واكتب أي منهما تشاهده في الحقيقة بمعنى كيف ترصد عينك الصورة في الواقع؟

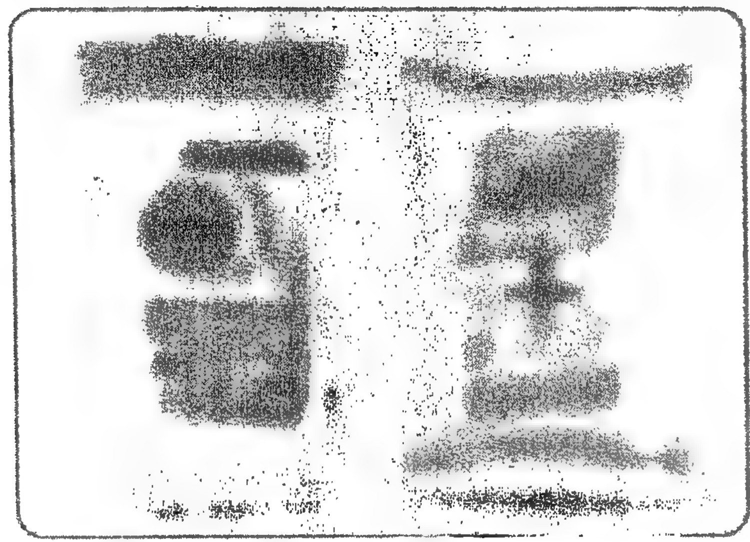




اعتادت العين على مطالعة صور الكاميرات والشاشات لتظن أنها تشاهد كل شيء كما هو في الصورة التي على اليسار بتفاصيله الواضحة ولكن في الحقيقة وعند مرورك بشارع كهذا قد لا تلاحظ أية تفاصيل به أو تركز على تفصيلة واحدة كالصورة التي على اليمين فقط فعقلك ليس بكاميرا ولكنه راصد ومن الممكن خداعه بسهولة.

ومن هنا تقوم الكثير من الشركات المنتجة للعديد من المنتجات الاستهلاكية بعمل تشفير لمنتجاتها بالنموذج بحيث تخدع عقل المستهلك المقبل على الشراء ولو بنسبة صغيرة فمثلا لننظر للصورة التالية:

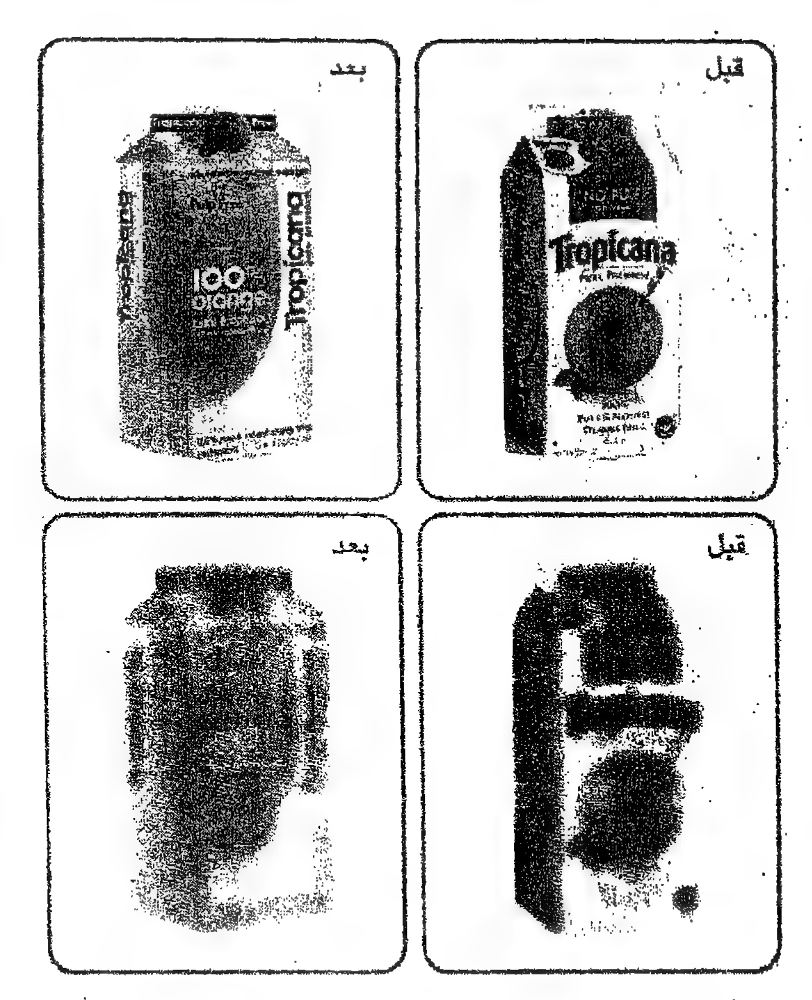

Dettol
99.9%
WIPES
40



نجد أن المنتجين متشابهان في ألوان وتصميم الأغلفة ولكن الجميع يعرف ديتول بالطبع فسيقدم على شرائه بلا تردد كالذي قد يحدث عند شراء المنتج على اليمين ولكن المنتج المقلد أرخص سعرًا فنجد المستهلك يقبل عليه بدافع من عقله الباطن باعتقاده في جودة المنتج الرخيص نظرا لتشابه غلافه مع غلاف ديتول الأصلي.

إذن من المهم أن نعرف العلامات المميزة ونحافظ عليها بالنسبة للمنتج أو الفكرة المراد تصديرها ثم بعد ذلك من الممكن ممارسة الحرية في التغيير. لكن من الخطأ تغيير عدة علامات مميزة أساسية في وقت واحد.

ولطرح مثال لذلك فلننظر في ما فعلته شركة تروبيكانا من إعادة إطلاق العلامة التجارية لعصير البرتقال تروبيكانا فرغم إطلاق حملة إعلانية قيمتها ملايين الجنيهات الاسترلينية للدعاية للعبوة الجديدة والتي لاقت بالفعل انتباهًا من الجمهور أثناء الحملة فقد أدت العبوة الجديدة إلى خسارة تكبدها المنتج قدرها ٣٠ مليون يورو في شهرين فقط مما أدى إلى سحب العبوة الجديدة من السوق.



إن عصير البرتقال نفسه لم يتغير وكان طعمه رائعًا كالسابق، كما أن اسم العلامة التجارية — وكل ما تمثله — لم يتغير كذلك، بالإضافة لأن العبوة الجديدة بدت أكثر حداثة ومناسبة على طاولة الإفطار، لكن فيما يتعلق بالتعرف على العلامة المميزة، فإن خصائص

العبوة تغيرت على نحو كبير: فرمز البرتقالة وبها شفاطة حل محله كوب زجاجي، وقد تغير حجم الخط المستخدم وكذلك مواضع كل العناصر الأساسية. إن صورة البرتقالة وشكل الشعار في التصميم القديم كانا لهما قيمة تمييزية عالية في التعرف على العلامة التجارية والمنتج، وبتغييرهما أصبحت عملية التعرف الآلية، خاصة في ظروف ذات دقة وضوح منخفضة شبه مستحيلة.

....

....

رحت أفكر في ما تفعله بي سونيا، هل هذا نوع من أنواع التشفير؟ شعوري بها مختلف تمامًا عن شعوري بغيرها من النساء، شعور غريزي فطري كشعور الطفل بأمه، ربما لون بشرتها السمراء يماثل لون بشرة أمي بالفعل وطريقتها كذلك في التعامل معي بحنان لم ألمسه من أمي طوال عمري ولا من نهى كذلك ولا غيرها من النساء مع لمسة من الحزم التي تذكرني بأمي كذلك!! لا أحمل لها شهوة عنيفة كتلك التي حملتها لنهى ولكن توق دائم لحالة الاسترخاء التي تدخلني فيها، فكرت في تجربة ممارسة التشفير عليها بإرسال بعض الرسائل لعقلها الباطن دون وعي منها فهكذا يكون اللعب، طرقت الباب ودخلت ومعها طعام الغداء، وضعت الطعام أمامي وابتسمت في ود، كنت جائعًا جدًا فدعوتها لتأكل معي، كنت أشك كذلك في الطعام فربما وضعوا لي عقاقير تساعدهم في منهجة عقلي وتطويعه، لم تمانع بل جلست وتناولت معي الطعام والشراب وأطعمتني بحنان بالغ،

نظرت لها ورحت أقارنها بنهى عصام، بدأت أدرك فتور شعوري تجاه نهى مقارنة بما أحمله لسونيا فهذا شعور مريح لا يحمل ارتباطات وتعقيدات وزواج كتلك التعقيدات في علاقتي بنهى، فكرت لم لا أدعو نهى لتحضر هنا معي فتحميني من تأثير سونيا وشرودر قليلًا، انتهيت من الطعام وغادرت سونيا في هدوء فرحت أحاول التواصل مع نهى هاتفيًا، جاءني صوتها في الهاتف رقيقًا وديعًا أعاد لي الحنين لها:

-اشتقت لك كثيرًا.

-أنا كذلك، ما أخبارك؟

-مرهق بدونك، تعالي.

علت ضحكتها عبر الهاتف:

-أين وكيف؟

-تعالي لنتزوج هنا.

-إذن رتب كل شيء وأنا على استعداد للسفر.

أغلقت الخط معها، صوتها ينم عن فرحة حقيقية ولكن هل أنتوي الزواج منها بالفعل؟ كرهت الزواج والفشل والطلاق فهل أغامر بتجربة ثانية على وشك الفشل؟ أحتاج نهى في الحقيقة ولكن هل أحبها؟ هل هناك ما يسمى بالحب؟ فكرت في أنه ربما لو جاءت نهى هنا لتغيرت فكرتها عن الزواج ووافقت على الدخول في علاقة معي على النمط الأوروبي بلا قيود مما يحملها الزواج. فكرت كذلك في طريقة لجعل نهى جزء من المشروع هنا فذهبت للدكتور شرودر

ومعي تقرير عن ضحايا داعش المقيمين في المركز، وجدته جالسًا مع سونيا في مكتبه يراقبون المجموعة الداعشية عبر الشاشات، قدمت له التقرير المبدئي عنهم فلم ينظر لي وقال:

-أعطه لسونيا لتراجعه وتكتب ملاحظاتها عليه.

نظرت لسونيا ثم قدمت لها التقرير، سألتني:

-تريدني أراجعه في سرعة حتى تكمله؟

لم أنظر في عينيها وتظاهرت بالانشغال في مراقبة الشاشات مع دكتور شرودر قائلا بهدوء وسرعة:

-أنهيه بالسرعة وبالطريقة التي ترضيكي.

هزت رأسها وخرجت من الغرفة، تعمدت ذكر لفظة: "ترضيكي" حتي يكون ذلك نوعا من التشفير العميق لرغبات سونيا المختبئة تجاهي في عقلها الباطن والتي هي لا تدركها ولا تجعلها محركا لها فالرضا أو satisfaction مرتبط في العقل الباطن للمرأة بالأورجازم والرغبة في الشبع والتي تحاول سونيا الابتعاد عن الحصول عليها في ممارستها للاسترخاء معي والسيطرة على الرجال كذلك وذكري للرضا في كلامي العادي معها سيخدش عقلها الباطن دون إدراكها الواعي ويجعل من السهل اختراقه عبر تلك الرسالة أو الشفرة البسيطة التي لن تترجمها سونيا وعقلها الواعي ولكن سيترجمها عقلها الباطن بعشوائية وفوضوية لأنه يعتمد على خوارزميات غاية في التقدم والدقة تشبه تلك التي يعتمد عليها الحاسب الآلي المتقدم جدا.

نظرت لشرودر خشية أن يكون قد أدرك ما أفعله مع سونيا ولكن تذكرت القاعدة العلمية التي تقول بأنه :" حتى لو قام طرف ثالث بالتنصت على قناة الإتصال وقراءة النص المشفر فإن هذا النص سيكون غير مفهوم بالنسبة له." ثم عرضت عليه عمل نهى معنا وشرحت له مواهبها الإعلامية وخبراتها كذلك وأهميتها بالنسبة لي فقال:

-دعني أطلع على ملفاتها وخبراتها وما يمكنها أن تقدمه للمركز هنا ثم سأخبرك بقراري النهائي في إمكانية عملها هنا معنا.

أومأت له برأسي موافقًا عندما وجدته يدخل في نوبة من الضحك فركزت في الشاشة التي أمامه لأجد إبراهيم بأنه واقفًا يتبول على نفسه في غرفة الهروب 2 وأمامه طفل صغير مقيد مكمم الفم وعليه أن يحركه من مكانه حتي يحصل على الرسالة التي ستمكنه من عبور الباب هو وزملائه، كان شرودر يضحك وهو يدخن غليونه كالمجنون، سألته:

-لماذا تجعلهم يدخلون في تجارب تحاكي واقع التجربة السيئة التي مروا بها؟ وكيف تستخدم طفل حقيقي في المهام التي عليهم القيام بها وتقيده بهذا الشكل؟

نظر لي في هدوء قائلًا وهو يدخن:

-اسمع يا ولد، ان لم يواجهوا مخاوفهم التي تعشش في عقولهم ويتغلبوا عليها لن يستطيعوا المرور من حالتهم السيئة أما عن

مشاركة الطفل فلا داع لتسأل في كل التفاصيل الصغيرة حتى لا تكن مزعجًا.

راح يكمل مشاهدته لهم ويضحك باستمتاع حقيقي، في الشاشة كان الأربعة يحاولون جر جسد الطفل عندما وجدوا تحته رسالة في وريقة صغيرة، قرأها أحدهم بصوت عال:

-في جسد المرأة يكمن الحل دائمًا ولكن هل يمكنك معرفة أين يكمن السر؟

سقطوا على الأرض في إعياء ثم قال أحدهم:

-ربما علينا البحث في تمثال المرأة بالأعلى.

تبادلوا النظرات ثم صعدوا للغرفة العلوية مرة أخرى، تنقلت عيني بين الشاشات لأطالعهم في الغرفة العلوية، نظروا لجسد المرأة وسأل آخر:

-أين يكمن السر؟ سر المرأة؟

أجاب آخر:

-أنا أعلم تمامًا.

هرول ناحية الطاولة محضرًا أداة تشبه المعول صغيرة وراح يمزق بها العضو التناسلي للتمثال بينما أفرغ إبراهيم ما في بطنه متقززا وتبعه الآخرون حيث كانت طبيعة التمثال تشبه طبيعة الجسد البشري فها هي الدماء تتساقط بغزارة من جسد المرأة، لم يجدوا شيئًا في هذا المكان فجلسوا على الأرض في يأس وإذ بأحدهم

يتناول المعول ويعمل به أسفل صدر التمثال من اليسار ليخرج مفتاحًا صغيرًا مليئًا بالسائل الشبيه بالدماء ويضعه أمامهم قائلًا:

-السر يكمن في القلب أيها الأغبياء.

هرولوا جميعا لأسفل وقاموا بفتح الباب الذي أوصلهم لغرفة جانبية صغيرة بها فراش ضخم ارتاحوا عليه جميعًا فقد انتهى وقت المهمة تاركين الطفل المقيد وحيدًا في الغرفة الأخرى بلا مبالاة.

أخذني شرودر من ذراعي وتوجه بي نحو الحديقة، جلسنا سويًا أسفل شجرة ضخمة، نظر مباشرة في عيني قائلًا:

-تم تحويل مبلغ 100 ألف دولار في حسابك محمود.

تعجبت كثيرًا فقد كنت في تلك اللحظة بالذات أفكر بجدية في ترك المشروع كله كما شعرت بالخوف من انضمام نهى لنا هنا وكنت بصدد التراجع عن فكرة حضورها ومشاركتها في المشروع لكنني عدلت عن أفكاري تلك بمجرد ذكره للمال، سألته:

-هل لك أن تخبرني بالمزيد عن المشروع وتمويله؟

-اتكأ قليلا للوراء ثم بدأ يسرد:

-هل تتذكر مشروع MK-Ultra؟ والذي بدأ رسميا عام 1953 برعاية المخابرات الأمريكية وتم وقفه عام 1964 وفي عام 1973 وبعد تسرب بعض المعلومات عن تحقيقات ذات صلة بالمشروع، أمر رئيس وكالة الاستخبارات الأمريكية وقتها ريتشارد هيلمز بتدمير أي سجل عن برنامج "إم كيه ألترا". في الحقيقة نحن جزء

من المشروع الذي لم يتوقف كما أشيع وهناك العديد مثلنا في جميع أنحاء العالم مثل مشروع مونارك الأمريكي ولكن على العكس نحن نعالج النزلاء بذات الطريقة التي غسلت عقولهم بها، في هذا المكان هناك الكثيرون ممن يحتاجون علاجًا وتنظيفًا لعقولهم كما هناك الكثير من الباحثين والعلماء مثلك ممن يحتاجون لمتابعة حالات فريدة تعرضت لغسيل المخ ومن ثم رصد سلوكها وتحليله لايجاد طرق لمقاومة غسيل المخ، هل تعلم يا محمود، ليس من مصلحة أحد بالمرة تطبيق نظريات غسيل المخ على الأفراد وعدم الاستفادة منها ولكن يجب علينا نحن العلماء إيجاد طرق لحماية العقل كذلك، قد ترى أننا في خضم بحوثنا تلك قد نظلم بعض الأفراد ونمارس بعض ممارسات غير أخلاقية ولكن تذكر كل ذلك في صالح شيء واحد فقط ولن أقول لك في صالح الأمة والوطن والعالم والسلام وهذه الأكاذيب لكنه في صالح الإنسان يا عزيزي.

نظرت له مليا، شعرت بأنني مكبل في هذا المكان، لن أستطيع الانسحاب بسهولة، إنه يتحدث عن مشروع إم كي الترا ذلك المشروع الرهيب الخطير والذي تحدث عنه عميل الاستخبارات الأمريكية السابق "مارك فيليبس" في كتابه "تحول أمريكا"، لن أنسى بالطبع قصة "فأر التجارب" أو المواطنة الأمريكية "كاثي أوبراين" التي استخدمت هي وابنتها "كيلي" ضمن مشروع "MK-ULTRA". السري هذا، لقد كانت قصة رهيبة بها من الممارسات الشريرة ما لا يعد ولا يحصى، بدأت أتذكر تفاصيل القصة حيث كانت كاثي تعد

بمثابة فأر تجارب لغسيل المخ وبرمجته هي وابنتها كيلي كذلك وفي هذه الحالات يكون مآل الضحية إما القتل أو الجنون لتظل حبيسة المصحات العقلية الخاصة بالمخابرات لكنها هربت بالنهاية لتتحدث عن كل شيء بالمشروع ، ومما قرأت عنها أن تحكمهم في عقلها كان عن طريق الصدمة تمامًا كما يفعل شرودر مع نزلائه لكنهم كذلك كانوا يستغلونها جنسيًا فلا غسيل لمخ بدون تأثير جنسي وكلما كان متطرفا شاذًا كان التحكم أكبر، درت برأسي حول المكان، مكان غامض به العديد من الغرف والقاعات التي لا أعلم فيم تستخدم، لم أكن أعرف هل يستخدموا الجنس في هذا المكان ولأي مدى؟ هل يستخدموا العقاقير؟ كيف وما هي وبأي تقنية؟ هل يستخدموا السحر والشعوذة كما سمعت أنه تم في ذلك المشروع التعس أم أنهم يكتفوا بالعلم وكيف لي أن أعرف؟

* * *

الفصل السّادس

الشيطان يغني

نصيحة فنية

عندما يغني الشيطان، لا تستمع، ولو استمعت فعن الفعل امتنع...

جلست أطالع فيلم "الشيطان يغني" لمحمود ياسين صديقي العزيز لكنه لم يكن هو وحده المريض في ذلك الفيلم ولكنها زوجته كذلك، القاتلة التي دمرت عقله قبلما تقتله فلماذا فعلت ذلك؟ كان من الممكن أن تقتله دون أن تجعله يقتنع بأنه كاتب فاشل بينه وبين آخر تخاطر عالي جدا يجعله ينقل أفكاره من ذلك الكاتب كما يجعل الكاتب يتحكم في قوة قلمه وضعفه، لقد جعلت منه مريضًا نفسيًا بالفعل، استخدمت عدة أساليب ومنها الايحاء، التكثيف الانفعالي، التدمير الانفعالي وكل تلك الأساليب مذكورة في الكتاب "كيف تصنع مريضًا نفسيًا" والذي يؤكد شرودر أنه يقتنيه بمكتبته الخاصة ولكنه يأبى أن يطلعني عليه حتى أنتهي من أبحاثي حوله، كانت الزوجة في فيلم "الشيطان يغني" تحاول أن تجعل زوجها يقتنع أنه واهم وأن هناك من يرسل له بكل أفكاره، إنه الإيحاء هنا مغلفا في إطار من التكثيف الانفعالي المتمثل في رومانسيتها وحنانها المزيفين ثم عرجت على التدمير الانفعالي عن طريق فاروق الفيشاوي الذي يزعم كونه ذلك الكاتب الذي ينقل له الأفكار وذلك كي تجعله يبدو بمظهر

المنتحر عندما تقتله وتفلت بفعلتها. ماذا عما فعلته نهى بي؟ بل ما فعلته سونيا؟ ماذا عني؟ أنتظر وصول نهى عصام وأضمر لها شرًا عظيمًا، لا أنتوي الزواج ولكنني لا أحمل حلولًا أخرى، إرهاق كبير يحتل جسدي، استرخي في فراشي الوثير، أريد سونيا، أريدها بشدة فكيف تبدل الشغف هكذا؟ لابد من استخدام تقنيات الكتاب اللعين حتى أخترق عقلها وأمرضها بي كما فعلت معي نهى، سونيا امرأة عنيدة مصفحة لابد لها من ماض يجب على النبش فيه لأجد ثغرة أمر منها أو تمكنت مني هي وشرودر وقضيت عمري هنا وحدي حبيسًا، لم يتبق لي أمل سوى في حضور نهى لتؤازرني وتمنع عني سيطرتهم قليلًا، فكرت في البحث عن كتاب بمكتبة شرودر الضخمة لكنني خشيت أن تعرف سونيا ما أريد البحث عنه أو يشك هو بي. فتحت جهاز اللابتوب ورحت أبحث على الانترنت وفي الكتب العديدة الموجودة على مكتبتي الإلكترونية حتي وجدت ضالتي بكتاب الانسان ومقاومة الإغراء والاستهواء للدكتور غولي والعكيلي، رحت أبحث في الكتاب عن الاستهواء المرتبط بالتنويم الإيحائي فوجدت ما يلي:

يعتبر الاستهواء والإيحاء عاملان رئيسان للتأثير في الفرد القابل لهما وذلك عن طريق انتقال الأفكار والآراء من مؤثر إلى متأثر دون إقناع منطقي وبدون استخدام أساليب الأمر والنهي أو حتى أساليب الإقناع المنطقية وتزداد القابلية للاستهواء والإيحاء كلما كان الفرد في حالة عقلية ضعيفة وانخفاض القدرة على التمييز ويعتمد ذلك الأمر على العديد من العوامل منها الثقة بين المؤثر والمتأثر والطريقة التي

يتم بها الإيحاء والتعزيز والرغبات الانفعالية لدى المتأثر والتي تتعلق بالشخص المؤثر. وهناك عوامل تعتمد عليها عملية الاستهواء ومنها الجهل والجنس ووجود بطانة وجدانية تجمع بين المؤثر والمتأثر وغيرها. (غولي والعكيلي، 2014)

رحت أفكر في العامل الذي جذب انتباهي وهو وجود بطانة وجدانية تجمعني وسونيا وتبعدها عن شرودر، كنت أدرك جيدًا أن شرودر ملحد من ذلك النوع الغبي الذي يستتر أسفل غطاء الداروينية والتنوير والتشكيك في القصص التوراتية وكان له الكثير من الآراء المثيرة للجدل في لقاءات صحفية وتلفزيونية كذلك مما أدى لوجود الكثير من الأعداء له من داخل المجتمع الكنسي بتورنبيرج وخارجها وربما بالعالم أجمع كما أنه لم يكن ذلك الرجل الذي تفضله الطوائف البوذية والمسلمون واليهود والمسيحيون رغم محاولات تمسحه في الجماعات التي تدعى انتماءها للحركات الاسلامية والمسيحية والتجمعات اليهودية، قررت البدء بجلسه الاستهواء التي سأخترق بها عقل سونيا وأستهويها وأستميلها نحوي ضد شرودر لا سيما وقد خمشت عقلها الباطن منذ عدة أيام فهو الآن على أتم استعداد لتقبل وجودي داخله، كنت أدرك جيدًا أنه لا يمكنني عمل استهواء لسونيا بلا تواصل حقيقي معها ولو كان مجرد كلمات قليلة تحمل معها كل ما أريد منها فأنا أدرك جيدا أن شرودر قد دعم عقلها بمقاومة كبيرة وبتقنيات علمني بعضها بنفسه ولذلك تواصلت معها عن طريق التشفير العميق.

جلسة الاستهواء لشخص تم التعامل معه بالفعل (سونيا)

لا يمكن بالطبع عمل جلسه استهواء لشخص لم تتواصل معه بالفعل في الواقع ولا يمكن أن تتخاطر معه كذلك، لابد من تواصل ولو تواصل بسيط حتى تتمكن من اختراق مجال عقله الباطن وزرع ما تريد من أفكار كما يجب أن تعرف نقطة ضعف به أو نقطة تلاقي بينك وبينه. كنت قد عرفت أن سونيا من أصول افريقية وهي يهودية بالوراثة وتحمل داخلها ايمانا حقيقيا ربما تخفيه عن شرودر لكنها لم تستطع أن تخفيه عني فلقد شاهدت فرحة عينيها عندما ذكرت أمامها ذات مرة آية من التوراة ونحن نتناول الطعام سويا، أعلم أن إيماني عميق كذلك ولو اختلفنا في الديانة فرحت أعد لجلسه الاستهواء ولكن قبل أن أشرع في الجلسة، فكرت في عمل ما يسمى بالاستهواء المضاد أو الاستهواء العكسي Contra Sugestion وذلك لمقاومة استهواء سونيا لي وتحسبا لأي مقاومة من جانبها فبالطبع لديها ما يمكنها حماية عقلها الباطن به فهي لن تنخدع بسهولة وستعرف أنني بالفعل قمت بذلك وستحاول استهوائي مرة أخرى ولذا رحت أبحث في مقاومة الاستهواء وأعد تقرير عنه ليرفق بدراساتي كذلك حول الكتاب لأجد التالي:

مقاومة الاستهواء Suggestion Resistance

يوجد نوعان من مقاومة الاستهواء وهما:

- الاستهواء العكسي Contra Suggestion

-الاستهواء السلبي Negative Suggestion

ويشملا حالة من إتيان المرء ضد ما يوحى به إليه أو مضادة تأثير إيحاء آخر، فلنقدم مثالًا بسيطًا هنا، زميل لك في العمل على علم بخطأ ما قمت أنت به بالفعل ولم يعلم عنه أحد شيئا ما سوى هذا الزميل ودائما ما يحاول أن يخيفك أنه سيخبر رئيسك في العمل، يحاول أن يبتزك، يحاول اقتراض المال منك واستهواء آراءك عنه نحو مديحه والشكر فيه وهنا يحاول هو بكل الطرق لفت نظرك بكلمات وتلميحات عن ذلك الخطأ الذي ارتكبته أنت بقصد أو بدون ويظل يبتزك بشكل غير مباشر، ماذا تفعل أيها المسكين؟ هل سترضخ لميوله واستهوائه لك نحو محاباته والتمسح به والخوف منه أم أنك ستخرج عن شعورك وتعترف بالخطأ لرئيسك أو لصديق مثلا كي ترتاح من هذا الثقل فوق قلبك؟ هل ستخرج عن شعورك مثلا ثم تضرب هذا الزميل وتعترف بكل شيء أمام زملاءك جميعهم مدمرا مستقبلك ونجاحك بسبب خطأ واحد هو فقط من يعلم به؟

لا يا عزيزي لا .... هنا سوف أخبرك عن سر نظرية هامة جدًا

نظرية الإن والذلة

طالما أن في الموضوع "ذلة" فهناك دوما "إن"، هو يذلك ويحاول الضغط عليك بكل الطرق، يعرف خطأك ثم يبتزك، هل سترضخ له؟ فلنسأل أنفسنا: لماذا هو يفعل ذلك معك؟ لماذا يحاول الضغط عليك بما عرفه؟ هل هذا من نبله وشيم خلقه الكريم؟ بالطبع لا

فمن يفعل مثل ذلك شخص حقير، بالتالي فهناك " إن " وهذه ال " إن " هي خطأ كبير أو صغير يقوم به هو ويحاول عن طريقك تغطيته وهنا فلتسترخ تماما وتطلب من عم محمود ساعي البوفيه في العمل كوبا من القهوة وابتسم بثقة حقيقية كلما حاول ابتزازك بشكل غير مباشر، سيقلق ويبدأ في التصرف بشكل أكثر استفزاز لك ثم تقابله أنت ببرود تام، سيحاول مواجهتك بالخطأ، انكر ثم لمح له بأنك تعرف الكثير والكثير جدًا، وهنا لديك خيار من اثنين، إما أن تحاول معرفة ذلك الخطأ بالفعل أو تتركه هو يعترف به لمن يريد فحتما سوف يعترف إن أنت قمت بالاستهواء المضاد بشكل جيد وربما اعترف لك أنت بالذات وهنا دعونا نكمل بحثنا عن الاستهواء المضاد:

يعتبر الاستهواء المضاد موقف عقلي يتسم بالشك في كل ما يؤكده الآخرون ونزعة لرفض القيام بما يسأل المرء أداءه أو القيام بخلافه أو نقيضه. (البعلبكي، 1977) كما يعتبر أيضا ميل الفرد إلى اتخاذ اتجاه أو فعل يخالف ذلك الذي تم اقتراحه عليه أو توجيهه نحوه ويقصد به كذلك كف استهواء سابق كما أنه يحتاج مستوى عالي من النضج العقلي لمقاومة ما يتم عليه من إغراء وإيحاء وغير ذلك من أساليب لاستهواء الفرد نحو فكرة معينة ليقتنع بها. (الحفني، 2003)

ذكر العديد من الباحثين أن الاستهواء السلبي هو رفض الأفكار سواء كانت صحيحة ام خاطئة لكنه مفيد في جعل الفرد يفكر أولا في ما لديه من أفكار قبل قبولها من حيث صحتها أو خطئها ومن هنا يمكنه اتخاذ القرارات الصحيحة بدون تأثيرات خارجية أو داخلية على عقليه

الواعي والباطن. مثلا يحاول زميلك دفعك للاعتراف له بما لديك من أسرار فتقوم أنت باستهواء مضاد لرغباته تلك سواء كانت نواياها طيبة أم لا فربما هو مثلا يحاول أن يجد لك حلا لمشكلاتك تلك وربما أنه وغد لئيم كما ذكرنا من قبل -وهذا غالبًا هو الصحيح- ومن هنا يمكنك استخدام الاستهواء السلبي لرفض فكرته تلك ثم مراقبة كل شيء من حولك وتحليله لاتخاذ قرارك بشأن الحديث معه أو لا.

- الايحاء العكسي Contra Suggestion

نصيحة فنية

"من يحاول خداع عقلك الباطن باغته أنت بخدعة"

ويعتبر الإيحاء العكسي من أفضل الطرق لحماية العقل الباطن من الاستهواء بل ولضرب العقل الباطن لمهاجمك وبلبلة خططه ضدك ويتمثل في قدرة الفرد على مقاومة الإيحاء رأيًا وفكرًا ومعتقدًا وسلوكًا بالنزوع نحو تأكيد الذات واستعمال التفكير المنطقي في التمييز والنقد والاقتناع بما يطرح عليه عندما يكون مدعما بالأدله والبراهين المقنعة للعقل الواعي ثم استخدام الإيحاء المضاد لخصمك بما تريده أنت وليس ما يريده هو.

عناصر جهاز مقاومة الاستهواء

ولكي تقاوم أي استهواء خارجي لمحاولة اختراق عقلك الباطن أو لو تم اختراقه بالفعل وتريد أن تقاوم هذا الاختراق يمكنك أن تقوم بتفعيل جهاز مقاومة الاستهواء بداخله حتى تقاوم تلك الأفكار

الغريبة التي تم زرعها في عقلك الباطن وتمنع عقلك الواعي من الانقياد خلفها وهذا الجهاز يجب عليك صنعه في عقلك الباطن والواعي كلاهما حتى يقوم بالتصرف التلقائي بعد فترة من تدريبك له ويتكون من الوحدات التالية:

-وحدة تكوين وانتاج الأفكار المنطقية

-وحدة التحكم الذاتي

-وحدة الحث الذاتي ومقاومة الفشل

-وحدة التعبير عن الذات بشقيها الطيب والسيء

ويجب عليك مثلا تغذية وحدة تكوين وإنتاج الأفكار المنطقية بما يلزمها من دلائل منطقية على أبسط الظواهر من حولك عن طريق المراقبة البسيطة وكذلك عن طريق القراءات المختلفة أما عن وحدة التحكم الذاتي فهذه يجب تدريبها على المقاومة فمثلًا تحاول أن تعد وجبتك المفضلة لاخوتك أو أصدقائك ولا تتناول منها شيئًا أثناء الريجيم وذلك لتعزيز المقاومة والتحكم الذاتي في عقلك الباطن تلقائيًا وعن وحدة الحث الذاتي ومقاومة الفشل فهذه تدعمها بالعمل المستمر وتشجيع ذاتك ومن حولك كذلك على العمل المستمر والنجاح ولو فشلت بالفعل، يمكنك تعزيز وحدة التعبير عن الذات بشقيها بكتابة الخواطر البسيطة عن نفسك كل يوم أو كل عدة أيام.

تدريب

قم بكتابة خاطرة لا تتعدى خمسة سطور عن نفسك، صف ملامحك، شعورك، هل تحب اسمك أو تكرهه، ما تكرهه في نفسك وهل تقبلها أم لا على حالها ذلك، اكتب كذلك عن طموحك وما تحلم به وعن أسوأ رغبة داخلك سواء كانت انتقام، قتل، رغبة جنسية، سرقة أو أي شر موجود داخلك بالفعل اليوم بالذات وتريد القيام به أو تراودك خواطر حول القيام به ولو رفضت تلك الخواطر.

....

....

....

....

....

....

انقل الخاطرة التي كتبتها هنا في دفتر خاص بك للخواطر ثم قم بمسحها كل يوم وأعد كتابتها بشكل مختلف دون الرجوع لخاطرة الأمس وكرر ذلك لمدة شهر مثلًا ثم قارن بين الخواطر بالتتابع الزمني وسجل ملاحظاتك عن التغييرات في الخواطر اليومية هنا:

....

....

....

....

خطوات الاستهواء المضاد لمقاومة الاستهواء

ابتعد عن وسائل التواصل الاجتماعي تمامًا، اخرج من التطبيقات مثل فيسبوك وتويتر.

اجلس في مكان هادئ بعيدًا عن أي مؤثرات، استمع لموسيقى قوية محفزة وليست رومانسية هادئة، جرب موسيقى مثل موسقي فيلم Mozart effect ، Brave Heart أو موسيقى Game of Thrones Main Theme

أخبر نفسك أن كل شيء على ما يرام ولا داع للخوف مطلقًا، أنت قوي وشجاع وواثق من نفسك ويمكنك التغلب على جميع المصاعب من حولك.

تذكر هؤلاء الذين يحاولون استهواءك دائمًا وتغليب رأيهم على آرائك، تخيلهم في صورة بالأبيض والأسود باهتة مثلهم ثم أخبرهم أنك قوي وستقوم بفعل ما تراه صحيحًا من وجهة نظرك فقط.

فكر في أخطائهم، عددها بلسانك وكرر نطقها بصوت عال.

فكر في نقاط ضعفهم وتخيلهم في حالة من الضعف والارتباك.

حاول أن تخلد للنوم بعد ذلك أو استرخ بلا تفكير تمامًا لمدة ساعة على الأقل.

تدريب

هل هناك من قام بدفعك لعمل معين لم تكن بك رغبة حقيقية فيه وقمت به مضطرًا كمهمة عمل معينة أو الخروج مع شخص ما

في مشوار لا تريده أنت أو طلب منك طلب لا تريد أن تقوم به ولكنك فعلت رغما عنك ولا تدري لماذا؟ هل هو شخص دائم الوجود بحياتك ودائم لتكرار إرغامك على الفعل ظنًا منه أنك تفعل ذلك محبة فيه؟ هل هناك رجل دفعك للدخول في قصة حب لا تناسب ظروفك؟ هل هناك امرأة قامت بذلك لو أنك رجل وكنت تشعر بالفعل أنك غير راغب للدخول في تلك العلاقة أو ذلك الفعل بإرادتك بل أنك مسير تمامًا كالنائم؟ ماذا فعلت؟ وماذا كنت لتفعل من استهواء مضاد لتقاوم هذا الفعل أو الشعور؟ ماذا لو حدث موقف مشابه لذلك في المستقبل؟ ماذا ستفعل بالظبط؟

....

....

....

....

....

....

انتهيت من الجزء البحثي الخاص بتحصين العقل الباطن ومقاومة الاستهواء ثم شرعت في عمل جلسة لمقاومة استهواء سونيا لي ثم استهوائها هي لما أريد أنا، كنت أعلم جيدا أنها تستغرق في النوم مبكرًا فظللت مستيقظا لأتناول حبتين من المهديء هذه المرة ثم أدخل في حالة من الاسترخاء التام وأنا في وعيي، المقاومة وتحصين العقل الباطن يحتاجا المزيد من التركيز والتكثيف الانفعالي للحدث

لذا بدأت في تصفية ذهني تماما من أي فكرة سوى سونيا، راجعت رغباتي نحوها واعترفت بها، نعم أريدها بكل حواسي رغم عدم وجود شغف قوي يجذبني نحوها، شعوري بالأمومة تحمله لي هو ما يجذبني لها ويطمئن روحي، الطمأنينة رائعة لكنها قد تكن فخا في معظم الأحيان، ذلك الكائن اللطيف الذي تهدأ نفوسنا عندما تراه وتسمع صوته ونعود أطفالًا صغارًا عند مجرد الحديث معه قد يكون هو نفسه ذلك الفخ الأكبر في الحياة ففي حياة كل منا فخ كبير محمول على كف رقيقة ناعمة طيبة يشبه من بعيد طبقًا مليئًا بأشهى أنواع الطعام.

منطلقت أفكاري فربما تكن سونيا فخ بالفعل ومحاولة من شرودر للسيطرة على وربما تكن شخصًا لطيفًا بطبعه وهنا وجب على أن أؤكد أنني بحاجة كبرى لها في كلتا الحالتين فوجودها يقدم لي الاسترخاء الذي يساعدني على تنظيم أفكاري كما أنه يريح جسدي من ذلك الهياج الذي كنت أشعر به تجاه نهى ويسبب لي الكثير من البلبلة والتوتر ويدفعني لتصرفات هوجاء كقرار الزواج منها مثلًا. وجدتني ها هنا أنتقل من مقاومة الاستهواء لمحاولة استهواء سونيا نحوي عن طريق اختراق عقلها الباطن والذي قمت بتحضيره مسبقًا عن طريق الشفرة، سونيا تعطي كثيرًا لكنها لا تأخذ، لا يوجد إنسان قادر على كل هذا العطاء دون أن يكن سعيدًا، رحت أكرر رسائلي لها مدعمة بصور عقلية رسمتها جيدًا في مخيلتي أثناء استرخائي، رحت أدفع بالصور متتالية تجمعني وسونيا في حالة من النشوة التامة وعلاقة

حقيقية بيني وبينها، رحت كذلك أدفع في عقلي بالمزيد والمزيد من صور الكنائس والمساجد والمعابد وأحاول التركيز على إرسالها للعقل الباطن لسونيا. أغمضت عيني واستغرقت في نوم عميق لأستيقظ فجأة على صفعة قوية على وجهي، فتحت عيناي لأجد سونيا تصفعني على وجهي بقسوة وتحادثني:

-هل جننت؟ ما الذي فعلته بنفسك يا غبي؟ ألا تعلم أن من يخترق مجالي الخاص يحبس داخله حتى الموت؟ ألا تعلم أن عقلي الباطن مبرمج؟ هل تدرك أنه يتصرف أحيانًا عوضًا عني في عالم الوعي ليحميني من أمثالك من المتطفلين الأغبياء؟ أيها الأحمق.. مرحبا بك إن كنت تحب أن تتجول في رأسي ولكن لا مخرج لك، لا مخرج لك. راحت تكرر هذه الكلمات الثلاثة: " لا مخرج لك" حتى أيقنت أنني لم أستيقظ بعد، لقد حبست في عقل سونيا، ظللت حبيس تلك الغرفة بلا ممارسة أي فعل سوى مطالعة سقفها وأنا لا أدرك هل أنا نائم، مريض؟ فاقد الوعي أم أنني ما زلت أحلم، كان شعوري بالجوع والهزال يزداد يومًا بعد آخر وكنت أرى سونيا من وقت لآخر تدخل بصينية طعام ثم تحاول وضع قطرات من الشوربة في فمي، كنت أشعر طعمها لكنه كان مرًا، لم أكن أدرك لماذا تطعمني هذا المرار، راودتني أفكار بشعة عن كوني حبيس في غرفة من غرف مركز فوضى المشاعر الحقيقية وليس فاقدًا للوعي بعقل سونيا وأن هناك تجارب يجريها دكتور شرودر على رأسي لكنني لم أره سوى مرات قليلة وكان لا يكاد ينظر لي لكنه يتحدث مع سونيا بتلك اللغة الغريبة

ثم يترك الغرفة بلا أي تواصل معي، كانت تراودني خيالات غريبة لرجال يرتدون السواد ونساء عاريات يلتفون حولي يرددون كلمات غريبة وتعاويذ سحرية، لم أعرف بالطبع هل هي تعاويذ حقيقية أم لا لكن عرفت أنها سحرية هكذا قال لي عقلي، كانوا يختفون ثم يعودون وأنا أشعر أنني خارج الزمكان، تبدلت سونيا لتتحول لنهى ثم تعود لتتحول لسونيا مرة أخرى، حاولت تنبيه عقلي الواعي ليفيق كثيرا لكن دون جدوى، كنت كل يوم أثناء غفلتي تلك أرتب أفكاري في عقلي الواعي وأحاول الوصول لحالة من الوعي حتى جاء يوم وبدأت أسمع الأصوات بشكل أكثر وضوح لدرجة الإزعاج، لم أعد أتحمل الضوء القوي في عيني فكنت أغمضهما وأفتحهما بالتتابع ليتمكن الضوء القوي المسلط على عيني من لمسهما، بالكاد رحت أحرك شفتي لأنطق باسم واحد وهو: "نهى"، "نهى"، "نهى". كنت أفعل ذلك طول الوقت تقريبًا حتى توهمت ذات مرة أنني أرى نهى أمامي ثم فتحت عيناي لأتأكد من أنها نهى عصام بالفعل، ارتاحت عضلاتي وحاولت النهوض لأسلم عليها لكنني لم أشعر بأي عضو حي في جسدي، كنت كالمنوم أو المخدر أو المشلول، حاولت أن أمد يدي لتلمس يد نهى فوجدتها تقبض علي كفي بحنان وتتحدث:

-اشتقت لك كثيرًا جدًا، هل من المعقول في أول يوم أصل هنا أجدك بهذه الحالة؟ لم فعلت بنفسك ذلك يا محمود؟

كنت سعيد لوجودها جواري كما أنني سعدت عندما وجدت يدي تشعر بها وتتحرك كذلك ولو كانت حركة واهنة ضعيفة، لم أفهم

مقصدها من :" لم فعلت بنفسك ذلك يا محمود ؟ "

-متى وصلت ؟ أنا سعيد جدًا لمرآكِ.

-وصلت منذ ساعتين فقط.

نظرت لها طويلًا، أثق بعقلي بدرجة كبيرة جدًا، لقد رأيتها عندما كنت غائبا عن الوعي ولم يكن ذلك مجرد خواطر، كانت هي برائحتها وصوتها:

-هل تعلمين ما حدث لي ؟

اقتربت مني نهى في حنو ووضعت يدها على جبهتي قائلة:

-حبوب المهدئ التى تعاطيتها أدخلتك في غيبوبة، لماذا تناولت عشرين حبة مهدئ ؟

التفت لها في قلق:

-لم أتناول سوى حبتين من عقار ترانكيسين فقط.

نظرت لي وكأنها لا تفهم شيء:

-غريب ذلك الأمر، لقد قالولي ذلك.

-منذ متى وأنا في الغيبوبة ؟

-شهر.

-هل استلمت عملك مع الدكتور؟

-ليس بعد، لكنني علمت أنه سيكون تغطية إعلامية في مواقع مختلفة وتحليل نقدي لموضوعات ومقالات علمية والمقابل المادي

ممتاز، لك كل الفضل في ذلك يا عزيزي.

نظرت لها في حب وامتنان شعرت به في تلك اللحظة:

-الفضل كله لك.

-لماذا؟

-يكفيني وجودك.

ارتعشت يداها قليلًا وفركتهما في قلق، شعرت أن لديها ما تريد قوله ثم دخلت سونيا لتكسر حضور نهى بسمارها الملفت ومشيتها الواثقة ونظرة عينيها الساخرة لي، كنت متأكد أن لها دور هي وشرودر في ما حدث لي، ربما أن عقلها محصن بالفعل وذلك سبب ما شعرت به من فقدان للوعي لكنني متأكد كذلك من تناولي لعقاقير معينة أدت لإطالة مدة غيابي عن الوعي كما أنني متأكد أنها سونيا التي قدمت لي العقاقير أما عن قصة العشرين حبة من المهدئ فهي قصة وهمية اختلقها شرودر وسونيا بالطبع لتضليلي وتضليل عقلي لكنه كان خطئي من البداية فلم يكن على أن أحاول اختراق عقل سونيا هذه دون استخدام عقاقير وتكنولوجيا لحمايتي وإضعافها لكن لا أحد يتعلم مجانا فها هو درس عن كيفية اختراق عقل محصن وأهمية استخدام تقنيات خاصة وعقاقير في ذلك لحماية عقل المخترق من الدمار.

طلبت من نهى أن تذهب لترتاح فقبلتني قبلة خفيفة على جبيني وذهبت لغرفتها، اقتربت مني سونيا بصينية عليها بعض الأطعمة،

كنت جائعا جدا، نظرت للصينية ولسونيا، غمزت لي بعينها قائلة:

-لا تقلق يا عزيزي.

ابتسمت لها بسخرية قائلًا:

-أشعر بالتعب، أريد أن أتناول الغداء بالخارج، هلا اصطحبتني؟

اقتربت مني قائلة:

-جسدك متعب يا عزيزي، من الأفضل لك البقاء هنا حتى تتعافى.

نهضت من فراشي، شعرت بدوار خفيف يلف رأسي ثم توجهت نحو حمام الغرفة، لاحظت أن جسدي نظيف وملابسي كذلك، فريق التمريض بالمركز قام بواجبه على أكمل وجه معي، كنت أود الشعور بملمس الماء يتدفق على جسدي، فتحت الصنبور وتركت نفسي للماء يغسلني، بدلت ملابسي في سرعة وسحبت سونيا من ذراعها في هدوء لأتكئ عليها، لاحظت اختفاء نهى ولم أحاول مقابلة شرودر، صحبتني سونيا في سيارتها للخارج، خارج ذلك السجن الأسود نحو الهواء الطلق.

في مطعم هادئ بقلب المدينة طلبت من سونيا أن نتناول غداءنا، كان المطعم شبه فارغ تقريبًا، انتقيت طاولة متطرفة بنهاية الردهة الرئيسة للمطعم وقمت باختيار بعض الأطباق البسيطة من اللحم والخضر والعصير لي ولها، نظرت في عينيها مباشرة لأجدها تبتسم وتضغط بكفها على كفي قائلة:

-لا تقلق بشأني، أعرف كل شيء، لماذا فعلت ذلك؟ لماذا اخترقت مجالي العقلي؟ ألم تكن تعلم بجهاز المناعة الخاص بي؟

نظرت لمفرش الطاولة، كانت طاولة مربعة وعليها شرشف مربع كذلك وفوط مربعة تم طيها بعناية بالغة لتصنع شكلًا هندسيًا يحمل العديد من المربعات، الأطباق كذلك مربعة ومستطيلة وتتداخل فيما بينها مكونة أشكال هندسية كثيرة، سرحت في تلك الأشكال وشعرت بذهني صافيا كما لم أشعر به من قبل، نظرت لسونيا متسائلًا:

-أي عقاقير كنت تطعمينني إياها؟

اتكأت للخلف ثم قالت بجدية:

-هل تعلم ما هو تخصصي الأساسي؟

جاء الطعام فرحت أتناوله في هدوء:

-لا، ربما علم نفس، تنمية بشرية، لا أدري.

-بل بيولوجي، بيولوجيا الأعصاب وبيوكيمياء كذلك ودراسات في علم الأعصاب النفسي. لدي أبحاث في كيفية تسيير جهاز المناعة من طرف العامل النفسي من خلال الجهاز العصبي المستقل والدماغ.

ضحكت بصوت خافت:

-تحاولون تدمير عقلي إذن أم هو نوع من السيطرة الخاصة بشرودر، لن يحدث ذلك أبدًا دون إرادتي، هل تفهموا ذلك؟

نظرت في عيني بقوة وجدية قائلة:

-أنـا في معسكرك يا عزيزي، لقد كنت أدعمك بعقار قمت بتطويره بنفسي دون علم شرودر يتكون من أربع جزيـات لحماية الخلايا العصبية وإعادة برمجتها ليمنع ما كان يفعله معك شرودر.

-وماذا كان يفعل شرودر؟

-عندما قمت باختراق مجالي العقلي، علمت ذلك بالطبع رغم أنه حدث أثناء نومي وتداخل حلمي مع خواطرك فرأيت ما كنت تفعل بالتفصيل، استيقظت وتلقائيًا أرسل عقلي الباطن لعقلك رسالة تدمير تم وضعها بعقلي الباطن كشفرة من قَبل في المركز الرئيس بأمريكا أثناء تدريبي عن طريق جهاز تشفير يوصل بالدماغ لتقاوم أي اختراق خارجي.

-وماذا تفعل رسالة التدمير؟

ضحكت برقة وأنوثة لأول مرة منذ عرفتها قائلة:

-تجعلك تحت سيطرتي تمامًا، تفعل ما أريد وتتصرف وفقا ما يمليه عقلي عليك بل وتستخدم مفرداتي الخاصة جدًا وأساليبي كذلك.

ضحكت بصوت مرتفع قليلًا:

-وأنا الآن أسير عقل سونيا الجميلة.

ابتسمت في رقة:

-ولم لا تقول نحن الآن يكمل كل منا الآخر لنكون فريقًا قويًا لا يمكن هزيمته؟ هل تعلم أنه لم يتمكن أحد من قبل اختراق مجالي العقلي سواك؟

كنت أشعر بهزال تام في جسدي فقلت بلا اكتراث وأنا أحتسي كوب العصير:

-أراك سعيدة بذلك.

-ولم لا؟ ألم يكن الغرام هو ما دفعك لفعل ذلك؟

ابتسمت:

-نعم، أحببت الاسترخاء فوضعتني في غيبوبة تامة.

-لم أفعل ذلك، بل كان تخطيط شرودر.

-اشرحي لي لأفهم من فضلك.

-توقع شرودر أن تحاول اختراق عقلي لكنه لم يعرف كيف ومتى، أنا أيضا لم أدرك ذلك إلا بعد فترة فأدركت مغزى الشفرة الخاصة بالرضا، قالتها وضحكت:-كانت ناجحة جدًا حتى أنني لم أفهمها عندما وصلت لعقلي، عندما تم اختراق عقلي الباطن بواسطتك، عرف شرودر فهناك تطبيق على هاتفه يحمل ذات الشفرة التي يحملها عقلي وعند اختراقه يتم تدمير التطبيق ودخولك في حالة من اللاوعي.

شعرت بعدم الفهم والتصديق لذلك الحديث فكل تجاربي كانت مجرد ألعاب بدائية لم تصل لربطها بالتطبيقات الالكترونية والتي يمكن وضعها على الهواتف الذكية وغيرها من أجهزة ووصلها بمخ الانسان بهذه الطريقة المرعبة، سألتها:

-ثم ماذا؟

بدا عليها القلق ثم أكملت حديثها:

-مركز فوضى المشاعر لا يسمح له بممارسة أي نوع من أنواع السحر ولكن شرودر يقوم بالعديد من التجارب مع مشعوذين عالميين لهم صلة بالسحر الأسود والتعامل مع الشياطين وكان يريد استخدام عقلك كوسيط للتواصل مع عوالم أخرى والقيام بمهام بها وذلك لأنه يرى به قدرًا كبيرًا من القوة التي تصلح لهذه المهمة.

-إذن ما كنت أرى كان حقيقيًا، لكنني رأيت نهى عصام كذلك وربما أنني مارست معها الجنس كذلك، لا أدري هل هذا كان توهمًا مني أم حقيقة؟

-لا أعلم شيء عن نهى، كل ما أعلمه أنها وصلت اليوم بناءً على طلبك لضمها للعمل معنا، في تلك الأيام التي كان شرودر يجهزك لحالات التجسد الشيطاني العقلي كان ينحيني من المركز تمامًا وكنت أقيم ببيتي لأزورك باليوم التالي وأطعمك القليل من الشوربة التي تحمل العقار الوقائي لأنني خشيت سيطرة شرودر على عقلك واستخدامه في تجاربه الشيطانية.

نظرت لها في سخرية:

-لأنك تعشقينني وتشعرين بالخوف علي، أليس كذلك؟

أجابت في جدية:

-لا، الأمر ليس كذلك، دوري في المركز ليس مساعدة شرودر فقط، أنا عصا التحكم به كذلك من قبل الرئاسة العلوية للمشروع،

شرودر دوره انتهى وأخطاؤه كثرت أما عنك فأنت الآن في نطاقي الخاص وحمايتي كذلك.

نظرت في عينيها الجميلتين:

-أنا مرهق جدًا، أين منزلك؟

ابتسمت ودفعت حساب الغداء ثم صحبتني لمنزلها الصغير، كان منزلها دافئًا ومريحًا، إضاءته الخافتة أراحت أعصابي المرهقة، كان لابد لي من إراحة عقلي قليلًا فما مر به كان عنيفًا وحادًا ترك أثره على جسدي ونفسي، استلقيت على الأريكة الوثيرة في منتصف الردهة، اقتربت سونيا مني قائلة:

-ظننتك تحب نهى.

جذبتها نحوي في شوق بالغ وغبنا في سلسلة من القبلات الناعمة، كان جسدي مرهقًا فتركته لسونيا وكانت ماهرة بالفعل.

نصيحة فنية

عندما لا تجد حلولًا، اقبل بالمتاح ودع التيار يحملك حيث يشاء.

* * *

الفصل السّابع

الشك يا حبيبي

هذيان

«لا تحلم في وضح النهار فإنهم سيسرقون حلمك ويحتلون خيالك ثم يغلقونه تمامًا كمن اشترى أرضًا معشوشبة بالخضار ليملأها البوار.»

أرى أنني ما عدت صالحًا لتقديم نصائح فنية بعد اليوم، اعتبرو كلماتي مجرد هذيان لم أعد قادرًا كذلك على استخلاص المزيد من الحقائق العلمية فالعلم أثبت أنه لا توجد حقائق بالفعل فكل شيء قابل للشك. لم أحب نهى ولم أحب سونيا وربما أحببتهما كلتيهما فهل القلب قادر على الدق لاثنتين؟ نعم، القلب يدق بأمر العقل، يرى الجمال فيدق شغفا، يري القبح فيدق رعبًا، تلك المضغة التي على يسار صدرك تحركها الأهواء يمينًا ويسارًا فتدق وتدق، فلنكن منصفون إذن، ما عاد قلبي يرى وما عاد يدق. ربما أنني أسرفت في استخدام عقلي فتاه قلبي ولم يعد قادرًا على التمييز.

ما زلت بالرغم من ذلك أتوق لنهى ولوصلها، ساعدتني علاقتي مع سونيا للعودة لطبيعتي الجسدية القوية وزيادة قدراتي العقلية كذلك، تقول أنني أنفذ كل ما تريده هي ولا مشكلة عندي في ذلك فما تريده هو ما أريده أيضا، تقول أنها لا تغار من نهى ولكنني أشم رائحة غيرتها في كلماتها وجنونها وقبلاتها لي كذلك. انخرطت نهى في

العمل مع دكتور شرودر وكأنها نسيتني تمامًا، كنت أراهما معا فأظن أنهما على معرفة قديمة جدا ببعضهما البعض، كان يتحدث معها في بعض الأحيان بذات اللغة الغريبة التي يتحدث بها مع سونيا، اقتربت منهما ذات يوم لأتساءل:

-أي لغة تلك التي تتحدثون بها جميعًا ولا أفهمها؟

ضحك شرودر وضحكت نهى كذلك ثم مال شرودر ناحيتي وقال:

-ستتعلمها قريبًا يا صديقي، لغة خاصة بنا وحدنا، أنا صاحب شفرتها.

نظرت لنهى:

-ومتى وكيف تعلمتها نهى؟

نظرت نهى لشرودر في ارتباك فقال:

-أرسلت لها الشفرة عبر الإنترنت منذ شهور، منذ تواصلت معها وهي تعلمتها في سرعة.

سألته:

-ولماذا لم أتعلمها حتى الآن؟

أشار شرودر لنهى بالانصراف ثم قال لي:

-هل تفحصت حسابك البنكي اليوم؟ لقد أودعت مبلغ 300 ألف دولار في حسابك نظير ما تقدمه لنا من خدمات وما سوف تقدمه كذلك.

نظرت له في شك، كنت بالفعل أعمل ليل نهار في المركز، أعالج المرضى النفسيين الفارين من معسكرات داعش وأكتب تقارير عنهم وأحلل حالاتهم وسببها وكيفية التخلص منها بل وكيفية صنعها بواسطة قيادات داعش، كنت كذلك أقوم بتصميم العديد من الاختبارات النفسية والعقلية المرتبطة ببرامج تكنولوجية حديثة جدا للتحكم في العقول البشرية وتطويرها ورصد الإشارات العقلية في الهواء والتقاطها وغير ذلك الكثير ولكن المبلغ كبير للغاية ومغري، كلما فكرت في الفرار من العمل معهم كلما غرزوا ساقي في أرضهم حتى بت أظن أنني لن أستطيع العودة لمصر ولبلدتي الطيبة أبدًا، نظر لي شرودر وأنا أفكر ثم أشعل غليونه وراح يدخن ونهض من مكتبه وتوجه نحوي قائلًا:

-ما رأيك في مناقشة سريعة وكوب من الشاي؟

كنت قد توقفت عن تناول أي طعام أو شراب في المركز سوى ما أعده بيدي لكنه شعر بظنوني فطلب مني أن أعد من شايي الخاص كوبين وأدعوه للحديث في غرفتي ففعلت، جلسنا في غرفتي بالشرفة الواسعة، سرحت ببصري في المرعى الواسع حول المركز ثم نظرت له كي يتحدث فقال:

-أعلم أنك غير راضي عن الكثير مما يحدث داخل المركز، لكن انظر للعالم من حولك وأخبرني فيم يختلف العالم عن المركز؟ سأخبرك يا عزيزي، المركز أكثر رحمة، المركز يستخدم العلم ويقدم المال لمن يشارك به، لا تصدق أن المشروع يجبر البعض على العمل

به، هم فاقدي الأهلية بالأساس ولذا نساعدهم على الحصول على شيء من التعقل بطريقتنا نحن، نحن لا نصنع المرضى ولا نصدر المرض، المجتمع أمرضهم وهم جاءوا لنا بإرادتهم، سلموا لنا عقولهم في لحظات يأس ودورنا أن نعلم كيف سلبت منهم حرية عقولهم لحماية آخرين خارج المركز وهم جزء من المجتمع، الأطفال، نحن لا نؤذي الأطفال ناهيك عن كونهم مراهقون وليسوا اطفالا، يشتركون معنا في بعض الألعاب والتجارب البسيطة دون التعرض لما يؤذيهم، لقد عملت معنا ورأيت ذلك بنفسك فلا داع لتنظر لما تقوله بعض الصحف وما تتناقله الأكاذيب عن المخابرات الأمريكية الداعمة للمشروع.

نظرت له مفكرًا في كلماته:

-كلامك يحمل الصواب ويحمل الخطأ، هؤلاء المرضى الذين قصدونا لم يسلمو عقولهم بل وثقوا بنا، نحن أطباء وعلماء وهناك الكثير من التجارب التي نجريها عليهم تحمل كم من القسوة لا يجب أن يتحمله مريض، ألعاب الهروب وتجارب ربط العقول البشرية بالتطبيقات ومشاركة الأطفال في ذلك كله غير سوى، غير إنساني، غير نبيل، مشاركة الأطباء كذلك والخبراء النفسيين مثلي ومثل سونيا ونهى وغيرنا الكثيرون بها شيء من التعسف والإجبار، لست أدري كذلك نواياكم بخصوصنا في الأيام القادمة أو ربما حاولتم تجريب شيء على عقولنا دون أن ندري.

نظر لي بشك في كلماتي، شعرت أنه أدرك معرفتي بما كان يفعله

معي في فترة الغيبوبة، ارتشعت أصابعه فوق غليونه وتمسك به جيدًا ثم سألني في هدوء:

-ماذا تقصد؟ هل تشك في أننا قد نعرضك لتجربة غسيل مخ أو تجربة تكنولوجية مثلًا؟

لم أجبه فأردف بعصبية:

-هل تظنني ساذج أو مخرف؟ لقد دخلت في الغيبوبة لأنك حاولت اختراق عقل سونيا وربما أنها أخبرتك بأن عقلها محمي إلكترونيا والتطبيق بجهازي أعلمني ما حدث، لم احب أن أخوض في الحديث عن تلك التجربة أو أعاتبك على ما فعلت لكن ما حدث لك من غيبوبة أنت السبب فيه ولست مسئولا عنه فالبرنامج الوقائي يفعل ذلك. لقد كنت حريصًا على التأكد من سلامتك بل كنت أتابعك يوميًا، كنت أخشى عليك من سونيا وفعائلها الشيطانية، ربما أنك لا تعلم أن سونيا يهودية متعصبة تعلمت السحر الأسود على يد أهلها بأفريقيا وتستخدمها المنظمة لعلمها بذلك السحر، كنت أخشى أن تدس لك شيئا في الطعام، سحرًا أو ما شابه، محمود، هل ساورك شك في أنني قد أعرضك لتجربة قد تؤذي عقلك؟ هل شككت سونيا في أمري؟ أم من مرر لك تلك الشكوك؟

نظرت له في بلاهة ولم أجبه، اعتذرت منه وذهبت لغرفة المراقبة لأكمل عملي مع فرقة داعش، صار كل شيء حولي غير حقيقي، لا شيء مؤكد، الشك يملؤني تجاه الجميع لكننى ما زلت أثق بعقلي وهذا هو الشيء الوحيد الذي تمسكت به، هناك من يحاول التلاعب

بي وربما جميعهم، سونيا تشككني في شرودر وهو يبث شكوكه عنها في عقلي، نهى تتهرب مني وتتقرب من شرودر، المرضى وأبحاثي طبيعيون جدًا فالمرض بات سمة هذا العصر أما عقلي فما زال يعمل، إذن لا توجد مشكلات، فليذهب الجميع للجحيم ولأكمل ما بدأت.

هذيان

يستطيع الشك أن يقلب حياتك، يدمر عملك، يهدم منزلك، يشتت عقلك ويمرضه، عندما يزورك الشك، لا تفتح له الباب ولكن استمع لطرقاته.

عدت لأبحاثي حول الفارين من داعش وتركت شكوكي كلها جانبا، شرعت في قراءة ملفاتهم وبدأت بملف محمد اموازي، لم يكن فارًا من داعش لكنه كان سفاحًا بريطانيا من هؤلاء القادة الدواعش الذين تم القبض عليهم وإرسالهم للمركز. فتحت الملف لأقرأ ما خطته يده حول تجربته في معسكر داعش:

«الخوف هو المحرك الرئيس للإنسان، لا دين ولا نظام ولا شيء يمكنه ردعه سوى الخوف، وحيث لا يوجد قانون، يمكنك أن تفعل ما يحلو لك، نفسك فقط هي ما يحركك، في داخل نفسي أعلم جيدًا أنني حيوان مفترس، الضحايا أمامي بلا حراك ولا قوة تردعني عنهم فلم أرتدع؟ أنا القانون فلم لا أتشكل كيفما شئت؟ كنت كل مساء أدعوهم للرقص فرقصة التانجو هي المفضلة لدي، كلما رقص الرجل منهم جيدًا، كلما صفعته بشكل أقوى، هناك متعة خاصة جدا تعتريك

عندما تقسو، متعة لا تضاهيها متعة، هل يمكنك التوقف أمامها ورفضها؟ إذن أنت انسان، أما عني فلا، لا يمكنني التوقف أمام متعة كتلك ورفضها، المتعة الأكبر هي عندما تحنو ثم تقسو، تراقصهم وتصفعهم، وتظل تراقصهم وتصفعهم والعجيب أنهم لا يرفضون الرقصة أبدًا والأعجب أنهم لا يتوقعوا الصفعة حتى يموتوا أحياءً ثم فلتفعل بهم ما تشاء».

أدركت من قراءاتي لمذكرات ذلك المهووس أنه كان ينتهك عرض الرجال ممن يخالفون الأوامر كل مساء متحججًا بالعديد من الفتاوى الشاذة التي يخترعها أمثاله في داعش، كنت لا أدرك أهمية وجود وغد كذلك في مركز فوضى المشاعر ولم أدرك أهمية مذكراته التافهة تلك، كنت أراقبه في جناحه الخاص مرفهًا يجلس فقط ليكتب مذكراته وأنا أتميز غيظا لرؤيته، لماذا لا يعاقب رجل كهذا؟ وأي عقاب يستحق؟ لماذا يعامل تلك المعاملة الراقية كسجين حرب محترم؟ أخبرني شرودر أن الإعلام العالمي أعلن مقتله بواسطة الحكومة البريطانية ولكنهم أرسلوه هنا في الحقيقة لأن مذكراته ستفيدنا في الأبحاث حول صناعة المرضى والحماية من غسيل المخ، فكرت في تقنيات الكتاب التي قد تتشابه مع ما يفعله الوغد محمد اموازي والمعروف باسم جهادي جون من حنو وقسوة وكيفية الحماية منها، وجدتني أبحث في ما يلي من تقنيات الكتاب:

التحويل باعادة الجذب Conversion by reattraction

لا يوجد في علم النفس ما يمكن تسميته بالتحويل باعادة الجذب، رحت أبحث حول Conversion، attraction and reattraction في علم النفس لأجد اضطراب التحويل Conversion Disorder وهو مرض من فئة الأمراض التّشخيصيّة، وقد تمّ إدراجه تحت تصنيفات الاضطرابات العقليّة. ويحدث عادةً للمرضى الّذين يعانون من أعراض عصبية، من مثل الخدر، العمى، الشّلل أو النّوبات نفسية المنشأ، والتي لا ترتبط ارتباطًا وثيقًا بسبب عضوي مؤكّد، بجانب أنّها تسبّب آلامًا عسيرة للشّخص. ويعتقد أن هذه الأعراض تنشأ كرد فعلٍ على مواقف عصيبة، تؤثّر على الصحّة العقليّة لدى المريض، أو نتيجة لحالة صحيّة عقلية يعاني منها المريض، كالاكتئاب.

نظريّة اضطراب التّحويل قد انبثقت من مِصر القديمة، وكانت تُعرف باسم الهستيريا .وقد برز مفهوم اضطراب التّحويل في نهاية القرن التّاسع عشر، عندما ركّز عالم الأعصاب جان مارتن شاركو، وسيغموند فرويد، وعالم النّفس بيير جانيه دراساتهم حول هذا الموضوع. وقبل دراساتهم، كان يعتقد أن مَن يُصاب بالهستيريا، إنّما هو يتمارضُ ويتظاهر بهذه الأعراض، وترجع أصول مصطلحِ التّحويل إلى عقيدةٍ أو مذهبٍ فرويد، أنّ القلق "يتحوّل" إلى أعراض جسديّة.

تذكرت حالة محمود عبد المجيد وما بها من هستيريا تحولية، كان قد ذكر لي كيف كان والده يحنو عليه ويحضر له ما يريده من طعام

ونقود في الكثير منْ الأحيان ثم يعود للضغط عليه كنانج لجرعة الحنان تلك ويبدأ يطلب منه ما يريده أن ينفذه رغما عنه، ربطت ذلك بما يفعله جون في معسكر داعش، هو يراقص الجنود ويقيم لهم حفل سمر في محاولة منه لإظهار بعض اللطف ثم يضربهم في عنف، ذكر كذلك في مذكراته أنه كان يقدم لهم الطعام الوافر والمال ثم يقوم بحبسهم بعد عدة أيام بل ويعذبهم لدرجة أنه قطع أنف أحدهم ممن لم ينفذوا الأوامر فيعودوا بعد ذلك لتنفيذ أوامره بلا تفكير، إذن هكذا يكون التحويل باعادة الجذب، نوع من الاضطراب العصبي يقوم به المجرم من هؤلاء لدفع الشخص الواقع تحت سيطرتهم للتصرف وفق ما يريدون عن طريق تغيير الحالة التي يتعاملون بها مع المريض ليصل لنوع من أنواع الهستيريا ويصبح من السهل تحريكه وتوجيهه. تذكرت محمود ياسين في فيلم أين عقلي، كان يفعل ذلك بالفعل مع زوجته عندما كان يصحبها معه في رحلة رائعة سعيدة ثم يتركها في اليوم التالي وحيدة بلا أسباب وهو هنا يسبب لها نوعا من الهسيتيريا بإعادة جذبها للمواقف السيئة والتي يصاحبها بكاءا قد يؤدي لشلل في الجسم منشأه نفسيا لكنها كانت تقاوم ذلك بقوة.

وجدت في أبحاثي كذلك أن اضطراب التحويل من الممكن أن يصاب به بسهولة هؤلاء ممن لديهم حاجات غير مشبعة منها الحاجة للاستقلال والحاجة للانتماء والحاجة لتجنب الأذى والحاجة للجنس، هؤلاء هم الأكثر عرضة للاصابة بالمرض والأكثر سهولة في ممارسة التحويل عليهم من قبل الطواغيت من البشر، هؤلاء

الذين يعرفون متى يستخدمون الرحمة ومتى يستخدمون العنف والطرق المختلفة لاستخدام كل منهم بشكل جيد. وجدت كذلك أن الهستيريا التحويلية ارتبطت في الماضي بالمرأة حيث اعتقد قديمًا أن النساء اللاتي لا يتم اشباعهن جسديا ينشأ في رحمهن ما يسبب لهن التشنجات حيث اعتقد ذلك وفقا لتفسيرات أبو قراط بأن هذا المرض ينشأ بسبب انقباضات عضلية في رحم المرأة طلبا للإشباع الجنسي ثم تم اكتشاف خطأ تلك النظرية فالهستيريا يصاب بها الرجال كذلك ولكن وجد أنه من السهل السيطرة على النساء اللاتي لا يتم إشباعهن جنسيا بطريقة التحويل وهنا يصبح من المهم معرفة طرق حماية هذا النوع من النساء من هذه السيطرة التي قد تؤدي لنتائج سلبية للغاية على حياتهن.

لأول مرة منذ بدأتِ العمل في المركز، أشعر بالشفقة والحزن، ألهذه الدرجة تفنن الانسان في الشر؟ ألهذا الحد أصبح استخدام الرحمة والحب دافعا للسيطرة، كنت أدرك جيدًا كيف يمكن استخدام العنف والقسوة للسيطرة على الأفراد لكنني ربما لم أتقبل كيف يمكن للمرء أن يستخدم الرحمة والحنان ثم يتبعهما بقسوة ليسبب خللًا في نفس من يحتاج تلك المشاعر ويمكنه تحويله لما يريد، سرحت في خيالي قليلًا نحو بلدتي، هل بالغت في الشفقة؟ هل بالغت في تصور نفسي مثاليا وانسانا؟ تذكرت أختي الصغيرة، كنت كثيرًا ما أقسو عليها ثم أحنو حتى أضمن حسن سلوكها، كنت أفعل ذلك بنفس التقنية والطريقة التي يقدمها الكتاب لصناعة المريض

دون عنف حقيقي ولكن كان غرضي طيبًا بالنهاية، هل يختلف نوع الغاية حتى يتم تبرير الوسيلة؟

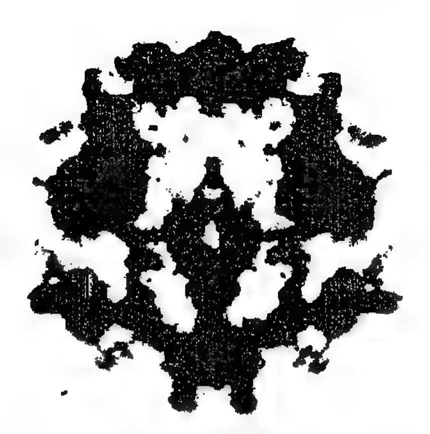
أكملت بحثي حول سبب التحويل الهستيري الحقيقي وهل هو يكمن في الجسد بالفعل فمثلًا هل المرأة التي لا يتم إشباعها جنسيًا هي الأكثر عرضة للإصابة بهذا المرض ومن ثم التأثير عليها وتطويعها بسهولة؟ وجدت أن طبيب الملك هنري الثاني قد اكتشف أن السبب الحقيقي للخلل الذي قد يسبب هذا المرض للانسان من الجنسين هو المخ ومن هنا فالمرأة التي لا يتم إشباعها جسديًا هي بالفعل عرضة لذلك المرض ولكن ليس بسبب حالتها الجسدية بل بسبب نقص الكيمياء الخاصة بالراحة النفسية في المخ والتي من الممكن ألا تكن منشأها الإشباع الجنسي وحده حيث يمكن استبداله بالإشباع العاطفي والمجتمعي والذي يمكنها من حماية ذاتها من سيطرة هؤلاء ممن يرونها عرضة لذلك النقص ويحاولون تحويلها وجذبها نحو فكرة الاعتقاد بحاجتها الجنسية فقط كي تستقر نفسيتها وجسدها مما يعرضها للاستغلال الجنسي.

مقاومة التحويل بالتداعي الحر Free Association

التداعي الحر تقنية للتحليل النفسي تعتمد على ترك المجال للمريض للإفصاح عن الأفكار التي تتبادر لذهنه دون تدخل أو توجيه من قبل المستمع فور ورودها حيث يتم استخدامها في تحليل وضعه الراهن.

ويتم تفسير عملية التحويل وفقا للنظرية الدينامية لفرويد والتي يمكن استغلالها في الانسان بتلك الرغبات المكبوتة داخل الفرد والتي قد يطرقها شخص ما لاستغلال الفرد ومثال لها تلك الرغبات الجنسية المكبوتة عند الرجل أو المرأة والتي تمثل الصراع بين دافعين أحدهما يرغب في إشباع الجسد جنسيًا والآخر يعمل على كبت ذلك الدافع مما قد يسبب أعراضًا جسدية كالآلام والتشنجات كما يشير فرويد أنه من الممكن أن يكن الأمر خافيًا تمامًا على الفرد ولكنه يكمن في اللاشعور وهنا من الممكن استخدام التداعي الحر للتخلص من أي دوافع مكبوتة داخل النفس وذلك للحماية من عملية التحويل سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة. (زعيتر، 2015)

تمرين التداعي الحر



انظر للشكل الذي تراه أمامك الآن وصف ما ترى في كلمات متتالية فقط

....

....

....

ثم أكمل الجدول التالي

1. أنا أحب	21. أنا فشلت
2. أسعد الأوقات	22. القراءة
3. أود أن أعرف	23. عقلي
4. في بيتي	24. أنا في حاجة إلى
5. أنا آسف	25. المستقبل
6. وقت النوم	26. الزواج
7. الأولاد	27. أكون في أحسن حال عندما
8. أفضل	28. أحيانا
9. الشيء الذي يضايقني	29. الشيء الذي يؤلمني
10. الناس	30. أنا أكره
11. الأم	31. هذا المكان
12. أنا أحس	32. أنا....جدًا...
13. أحد مخاوفي	33. المشكلة الوحيدة...
14. في المدرسة الثانوية	34. أنا أتمنى

15. أنا لا أستطيع	35. والدي
16. الألعاب الرياضية	36. بيني وبين نفسي
17. عندما كنت طفلا	37. أريد أن..
18. أعصابي	38. الموسيقى
19. غيري من الناس	39. الأطفال
20. أنا أعاني	40. الجنس

تدريب 2 تداعي حر

يتم عمل هذا التدريب من وقت لآخر مع مقارنة التغييرات التي تطرأ على ردود الأفعال للكلمات

ضع كلمة واحدة فقط أمام الكلمات التالية دون تفكير فيما ستقوله وفورا

الله	رب	شر
أنا	تسوق	نقود
الحب	ذكريات	فضلات
الناس	نوم	ضيق
كذبة	عمل	حضن
صدق	صحة	سبيل
الموت	مرحاض	فراش

وتر	إبرة	هواء
شباك	معرفة	جائع
غراب	خيال	ذباب
صوت	هو	صديقي
الزوج/ة	هي	وحيد

انتهيت من العمل وشعرت بإرهاق غير عادي، تركت كل شيء واستغرقت في نوم متقطع أرق شاهدت فيه الجميع يخون الجميع، نهى عصام في الفراش مع شرودر، سونيا وشياطينها في حفل ماجن على شرف جثتي ووالدتي تزمجر غضبا، رأيتني على حافة جبل عال على وشك التهاوي، هناك في أعالي الجبل وقف غراب أسود ضخم عيناه حمراوتان جعل ينظر لي في قوة حتى شعرت بنيران تلفح جبهتي، نطق الغراب محذرا:

-لا تتحدث، لا تتحدث، لا تتحدث

ظل يكرر كلماته تلك بشكل إلكتروني غبي، حاولت معرفة مصدر تلك الخواطر لكنني لم أدرك، شعرت برغبة في مغادرة ذلك الحلم أو أضغاث الحلم تلك فالتقطت نفسًا عميقًا وفتحت عيناي لأتخلص من هذا الهراء المزعج، وجدت سونيا على الفراش جواري تبتسم لي، نظرت لها في قلق:

-ماذا يحدث إذن؟

كانت تمسك بهاتفها المطور بيدها فقالت:

-كنت أبث لك بعض الرؤى باستخدام التطبيق الحديث لبث الأحلام، هل راقتك؟

نظرت لها في حزم فلن أدعها تتلاعب بعقلي مرة أخرى:

-توقفي عن ذلك العبث معي، إن كنت اخترقت عقلك فلن أظل حبيسا له للأبد كما يجب عليك التوقف عن بث تفاهاتك داخل عقلي، عزيزتي، أدرك ذلك جيدًا، ربما تصرفت أنا وفق هواك كما تظنين في بعض الأحيان لكنني أدرك ذلك تمامًا كما أنه يفيدني في تجاربي أم ظننتي أنني في حالة عشق مع عقلك اللذيذ؟

ضحكت بصوت عال وغمزت بعينها:

-أنت في حالة عشق بالفعل يا عزيزي ولكن اطمئن فأنا مثلك كذلك.

شعرت بها رائعة ومثيرة فاقتربت بشفتي من شفتيها الناضجتين دومًا واقتنصت قبلة صغيرة:

-وماذا عن شياطينك اللعينة؟

بادلتني القبلة بعدة قبلات صغيرة ثم أردفت:

-تريد أن تعرف الحقيقة كعادتك، لا أحد يعرف الحقيقة يا صغيري، لست ساحرة شريرة كما أخبرك شرودر كما أنه ليس بريئًا أيضًا، سأخبرك الحقيقة إذن، شرودر أراد ذلك، لست أنا، نعم أراد جعلك وسيطًا في عملية الشيطان الكبرى، جلب شياطين خاصة للعمل معنا ليحسن من جودة العمل، اقترح ذلك علي، لم أوافق على

الاشتراك معهم كما رفضت جميع محاولاتهم لتوريطك في عمليات قد لا توافق عليها، شرودر ونهى هما من أصرا على ذلك، السيدة نهى عصام هي من كانت تمارس طقوسها على جسدك إن لم تكن تعلم أيها العقل الذكي الخارق، ألم تتعرف عليها في مخيلتك؟ ألم تشم رائحتها أثناء غيبوبتك؟ كنت هناك كذلك لكنني كنت أمنع عنك سحرهم بعقاقيري الخاصة، كنت أنظف جسدك من تأثيراتهم السوداء، ربما أنني لست ضد استخدام السحر في بعض الأحيان وبعض الوسائل الآمنة لكنني لا أقبل الخداع والكذب باسم العلم أو باسم السحر حتى، حبيبتك الناعمة هي شريكة شرودر وهي سبب وجودك هنا بالأساس أم تراك ما زلت لا تدرك ذلك؟

نظرت لها في شك فكنت على علم بأن شرودر ملحد ولا يؤمن بالله فكيف له أن يؤمن بالشياطين، نظرت لي في سخرية وكأنها عرفت أفكاري وقالت:

-شرودر عالم، أليس كذلك؟ لا يؤمن بالرب مثلي ومثلك فمن الطبيعي ألا يؤمن بالشيطان؟ لا يا عزيزي، هو ليس بذلك الملحد العالم، مجرد متخبط غبي يعارض الرب فقط لكنه يعلم جيدًا بوجوده، يعلم بوجود الشياطين كذلك وربما فكر في تحدي الرب بهم، ما زلت بريئا يا محمود لا تعلم كيف من الممكن أن تنازع النفس البشرية ذاتها وكيف من الممكن أن تتخطى رغباتها جميع الحدود لتعبر حواجز الخوف والرهبة بل والإيمان كذلك.

شعرت بشيء من الصدق في كلماتها فاقتربت منها:

-أريدك الآن.

ابتسمت في دلال:

-أراك لم تصدم بعد في حبيبتك الجميلة؟

جذبتها نحوي في قوة:

-منذ عرفتها والشك يملؤني نحوها، اسمعيني جيدًا، ربما شغفت بنهى بالفعل لكنني أحبك.

ضحكت في رقة واقتربت مني:

-لم أفهم.

لم أتحدث كثيرًا فلم يكن لدي رغبة في الحديث لكنني أخبرتها بشيء واحد:

-إنها عقدة أوديب يا عزيزتي.

ثم غبنا سويًا في صراع أزلي يبدد جميع العقد النفسية التي قد تؤرق النفس البشرية.

* * *

الفصل الثّامن

«وثالثهما الشيطان»

تجولت في المركز وحدي أتفقد غرفه في محاولة مني للوصول للحقيقة التي لم أعد أعرفها، كنت أريد التأكد هل نهى خدعتني بالفعل؟ لم أستطع استيعاب ما أخبرتني به سونيا، نهى عصام هي التي دفعتني نحو السفر، كيف ذلك؟ نهى تعمل مع شرودر من قبل معرفتي وفي عمليات سحر أسود؟ شرودر أستاذي ولي به صلات قديمة منذ كان أستاذًا زائرًا بجامعة القاهرة، تذكرت كيف كان يحاول كثيرا دفعي للسفر وكنت أكرر الرفض لكن ما علاقة نهى بذلك؟ هل دفع بها في طريقي حتى تغرس فكرة السفر في عقلي؟ هل كانت تختبرني؟ هل تم زرع شيء في عقلي لا علم لي به؟ كان الوقت بعد منتصف الليل والمركز يغط بالهدوء، حملت معي هاتفي المحمول المطور والذي دعمته سونيا ببعض البرامج التي تمكنني من التجسس بسهولة، لا أثق بسونيا في الحقيقة لكن لا خيار ثان لي كما أنني اعتدت عدم الثقة في الجميع فلا مشكلة لدي سوى المتاح من خيارات، سونيا تقول أنها في معسكري، أدرك أنني أحركها وفقما أشاء أنا وأتركها تظن أنها هي من تحركني فلا شيء يهمني سوى نجاحي وخروجي من هذا المكان بلا خسائر، اقتربت من بهو واسع كنت أراه للمرة الأولى، قمت بتفعيل برنامج الاختفاء من كاميرات

المراقبة والرصد ثم توجهت نحو البهو، بدا أمامي كاسطوانة معدنية ضخمة ذكرتني بما رأيت في حلم الشيطان من قبل، ارتعش بدني عندما ولجت داخلها، شعرت بسخونة في جميع أجزاء جسدي ثم تحرك الجزء الذي أقف عليه تماما لأسفل ووجدتني أنزلق معه لقبو سفلي داخل البناية أسفل البهو، سكنت الدائرة التي أقلتني لأسفل ثم استقرت في الأرضية، جولت بصري من حولي ولم أجد شيئًا مميزًا أو شخصًا لكن كانت درجة الحرارة العالية تميز المكان، ضوء أحمر خافت بدا لي من باب جانبي لم ألحظه في البداية، اقتربت تجاه الحائط سيرًا خفيفًا حتى وصلت للباب، من فتحة الباب رأيت ما لم أتصور رؤيته أبدا، نهى عصام وشرودر جالسان إلى طاولة ضخمة ترتفع قليلا عن الأرض، ارتدى كلا منهما ثوبًا فضفاضًا أسود اللون يغطي الرأس والجسد والذراعين بالكامل، على الطاولة كتابًا ضخمًا مغطى بالجلد الأحمر وكتابا آخر كذلك مغطى بالجلد الأسود، حول الطاولة كان هناك عددا من المشاعل التي تحوى شموع سوداء عددها سبعة في كل مشعل، ارتعش جسدي عندما دخل رجل ضخم الجثة للغرفة، ملامحه مألوفة لدي، لم أتعرف عليه لكنني كنت أشعر بأنني أعرفه جيدًا، جلس جوارهم إلى الطاولة، بدأت نهى في القراءة من الكتاب ذو الجلد الأحمر وفي ذات الوقت شرع شرودر يقرأ في الكتاب ذو الغلاف الأسود واختلط صوتاهما، كانت نهى تقرأ تعويذات سحرية بلغة تشبه اللاتينية وكان شرودر يقرأ في كتاب كيف تصنع مريضًا نفسيًا باللغة الألمانية ثم تحدث الرجل الغريب

بصوت مألوف لدي ولغة لا أعرفها لكنني فهمتها:

"اليوم يتحد الإنس والجن، العلم والسحر، من أجل خدمة الوجود وسادة الأسفل."

سجد كل من نهى وشرودر للرجل والذي عرفته جيدًا، كان هو ذلك الشيطان الذي رأيته في حلمه قبل سفري، هو من عرض علي عرضه والذي ظننت عرض شرودر مختلف عنه لكن يبدو أنهما يعملان في فريق واحد، نهى عصام الرقيقة تسجد للشيطان!! كنت ضحية خداعها إذن لآتي هنا وأعمل معهم في فريق الشيطان هذا، كنت أظن أنني سأخدعها وأتنصل من زواجها وأورطها معي في علاقة غير رسمية خارج بلدها، المسكينة متورطة في علاقة مع الشيطان ذاته لذلك لم تهتم كثيرًا بمسألة زواجنا، نظرت نحوهم، كان الشيطان يضاجعها بالفعل، لم أحتمل المشهد، قررت مغادرة المكان ولو كنت سألقى حتفي، لن أكن شريكًا في كل هذا العبث، هل وصل الأمر بهم لعبادة الشيطان للوصول للمال والنفوذ وغير ذلك من الأطماع؟ شعرت بالكثير من المشاعر المتضاربة التي تمزقت نفسي لأجلها، تحركت ساقاي في ذات اللحظة التي تلاقت عيناي فيها مع عيني الشيطان، كان قد انتهى الوغد من نهى التي سقطت مغشيا عليها أرضًا، ركضت كما لم أتوقع أن أفعل من قبل طيلة عمري، تقطعت أنفاسي، وجدتني أركض في اتجاه مجهول نحو باب بعيد يبدو كمخرج من ذلك القبو، كلما ركضت، كلما ابتعد الباب، شعرت به خلفي، عنقي ساخن، أنفاسه تلفح عنقي، اقترب الباب أخيرًا، رائحة

هواء نقي تلمس أنفي لأستنشقها في راحة، ابتعدت أنفاسه اللافحة عن ظهري، استطعت أن ألتقط بعض أنفاسي عندما كدت أخرج من الباب وهنا شعرت بشيء كرذاذ الماء ذو رائحة نفاذة يغطي أنفي بقوة، رأيتها أمامي تبتسم في ثقة وسخرية، سونيا، انتشرت الرائحة في أنفي لأدرك أنها مخدر قوي في بخاخ بيد سونيا، سونيا خائنة مثلهم، ظللت أردد ذلك، خونة، جميعكم خونة، الجميع خونة، خونة حتى فقدت وعيي تمامًا.

هذيان

لابد من بعض الثقة في بعضهم حينا ولو امتلأ العالم عن آخره بالخيانة.

استيقظت من إغماءتي لأجدني في منزل سونيا وأجدها بجواري، نظرت لها في شك وغيظ، لم أفهم ما حدث لي ولم فعلت ذلك، وجدتها ترتب حقيبة سفر وتضع بها أغراضي التي كنت احتفظ بها في المركز، انتظرت منها تفسيرا لما حدث وكلي رغبة في تبرئتها من تخديري بينما كدت أفلت من الشيطان، نظرت لي في هدوء ثم بدأت تتحدث:

-لم أخنك ولم أسلمك للشيطان كما ترى، كان لابد لي من تخديرك كيلا يحتل الشيطان جسدك وحتى يمكنني التعامل معه بطرقي الخاصة واستخدام السحر المضاد، لقد انتهى دور شرودر في المركز وأنت حصلت على شهادة ماجستير معتمدة من أكبر جامعة هنا

وخبرة تمكنك من العمل بأي مكان بالعالم في أحدث تقنيات العلم الخاصة بالعقول المطورة والالكترونية وعلم النفس، نقودك كاملة في حسابك المصرفي كما هي وأضيف عليها مبلغًا آخر كذلك، انتهى دورك هنا ولك كل الحرية في الاختيار بالعمل بالمركز مرة أخرى مع مختصين جدد غير شرودر أو العودة لمصر أو البقاء هنا والعمل بالجامعة، أنت حر تمامًا مخمود.

نظرت لها في ود حقيقي وراحة:

-لست حرًا تمامًا، ما زلتِ تسرين بجسدي وأسري بعقلك.

ابتسمت:

-هذا خيارك إذن.

نظرت للحقيبة وشعرت بشوق بالغ لمصر ومرضى المستشفى. تلاميذي، أمي، قريتي بالصعيد وأهلي وقررت العودة لمصر فورًا.

* * *

النهاية

«الأخرس»

في مصر كل شيء يتم بدون تنظيم، كل يوم يزداد عدد المرضى، من يصنع المرضى؟ لا أحد يعرف؟ كل يوم حوادث قتل واغتصاب، حرق أطفال وتعذيبهم من قبل ذويهم، معلمون بلا ضمير، آباء لا رحمة لديهم، مجرمون بلا خوف، بلا رادع، منتحرون يزداد عددهم وفتاوى تخفف من الخوف من الانتحار ما كان بالماضي يردع الكثيرين عنه، خيانات مستمرة، أجساد تباع مجانا، عقول مخرفة في قنوات إعلامية، كل يوم يزداد المرض ويتفشى ولا أحد يعلم السبب، بعضهم يلقي اللوم على الحكومات والبعض على المؤسسات وبعضهم يتهم الفقر وآخرون يولولون فقط وأنا؟ ماذا عني؟ مجرد وغد آخر لا يحمل شيئًا مفيدًا لأحد ولكن يحمل رصيدًا جيدًا في البنوك من مصادر مجهولة. عدت لمرضاي، عرفت الكثير، لا يوجد أبرياء في هذا العالم، محمود عبد المجيد مريضي المسكين والذي مات بسرطان المعدة قبل عودتي لمصر كان قد حاول اغتصاب طفلة جيرانه واعترف كذلك لطبيبه المعالج من بعدي، لم أكن أعرف ذلك، كان يتحرش بالنساء الضعيفات كذلك، لم يكن ذلك البريء المسكين الذي لا حول له ولا قوة أمام أبيه فقط إذن، كان مجرمًا وغدًا مع بعض من هم أضعف منه، الوجه الآخر للضحية. هذا العالم يحتاج شيئًا قويًا يحمي المغفلين، فاقدي الأهلية، من يتنصل لهم القانون، لكن من

هم المغفلون؟ الأطفال ربما ؟ النساء أحيانا وبعض الرجال أم أننا جميعا نحتاج الحماية؟ هل جميعنا قابل لفقد الأهلية في لحظة ما؟ هل جميعنا قابلون للمرض وفقدان الوعي؟ سقوط العقل في بئر الخطيئة؟ هل سقوط العقل أخطر أم سقوط الجسد؟

استغرقت وقتًا كبيرًا في التفكير وممارسة العمل كأخرس بلا شغف حقيقي، كنت مستمر في التواصل مع سونيا عن بعد وتبادل الجديد مما له علاقة بالعمل، ما زلت أحبها أيضًا ولا أثق بها، نهى عصام أصبحت نجمة الإعلام السياسي العالمي الشهيرة، لا أحد يعلم مع أي جبهة تعمل في الحقيقة لكنها باتت إعلامية كبيرة بالقنوات الفضائية العالمية ممن يشكك البعض في ولائهم لمصر ويصفق لهم آخرون كرمز ثوري، كنت كلما رأيتها أستغرق في الضحك وأتعجب كيف تحملت مضاجعة الشيطان القبيح ولم تهتم كثيرًا بمضاجعتي، لكن ها هو الشيطان أثبت كفاءته ومكافأته، لم أكن لأقدم لها ما قدم هو بالطبع. الكتاب، شعرت بعدم حاجتي الحقيقية للكتاب وما به من تقنيات فها هم البشر يعملون بكل ما جاء به دون دراسة ولكن كنت أهتم كثيرًا بالمغفلين حقًا فلا قانون يحميهم ولذا قررت القيام بدور الفارس المغوار، قمت بافتتاح ملجأ للأيتام بقريتي وجمعية خيرية صغيرة، دعمت المدرسة ببعض المال القذر الذي حصلت عليه من شرودر وجماعته كما كنت أراقب فتيات القرية ومجاذيبها لحمايتهم من الأوغاد لصوص الأعراض والأعضاء، كنت ذلك الرجل الطيب جدا الذي يهرع له الجميع للمساعدة والعون ولكنني ما زلت أدرك جيدا أي وغد أخرس هو أنا.

المراجع

- https://alpha-sci.org/threads/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%86/%D9%8A%D9%83.2722
- د.شمال حسن، محمود. (2014). البيئة المشيدة والسلوك (البيئة المشيدة واثرها في سلوك الأطفال). دار الكتب العلمية.
- جونز، ام. فلاكسمان، ال. (2017). حروب العقل: تاريخ سيطرة الحكومات والإعلام والجمعيات السرية على العقل ومراقبته وإدارة شؤون الناس: Mind Wars: A History of Mind Control، Surveillance، and Social Engineering by the Government، Media، and Secret Societies. العبيكان للنشر.
- زعيتر، شاهر، (2015) . "البروفايل النفسي لذوي اضطراب التحويل" . http://b7oth.com/wp-content/uploads/2015/08/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A-%D9%84%D8%B0%D9%88%D9%8A-%D8%A7%D8%B6%D8%B7%D8%B1%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%8A%D9%84-

- D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A9-% D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%83%D9%8 %D8%A7%D9%83%D9%84% A%D8%A9-.pdf
- موسى، سلامة. (2011). العقل الباطن. كلمات عربية للترجمة والنشر
- راغب. نبيل. (2017). غسيل المخ. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- غولي، حسن. العكيلي، جبار. (2014). الانسان ومقاومة الاغراء والاستهواء. مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع
- حجازي، أحمد. (2016). نشط عقلك وتخلص من النسيان. Dar Al Ausra Media and Dar Alam Al-Thaqafa for Publishing
- Sarason I.G., Sarason B.R., Pierce G.R. (1995) Cognitive Interference. In: Saklofske D.H., Zeidner M. (eds) International Handbook of Personality and Intelligence. Perspectives on Individual Differences. Springer, Boston, MA
- https://www.waqi3.com/2017/12/cognitive-dissonance.html
- https://ar.wikipedia.org/wiki/https:// تنافر_معرفي
- https://www.technawi.net/مدخل-إلى-علم-التشفير-أنواع-التشفير/
- Ljupco Kocarev, Shiguo Lian, (2011). " Chaos-based Cryptography: Theory, Algorithms and Applications" Springer Science & Business Media
- https://ahdattarikhia.blogspot.com/2016/11/mk-ultra.html

- https://www.magltk.com/how-to-make-a-/psychiatric-patient
- aId=102820&fulltext=https://www.iasj.net/iasj?func
- /https://www.hindawi.org/books/94292572/3
- https://www.ta3allamdz.com/2016/09/MK-ULTRA.html

الفهرس

كيف تصنع مريضاً نفسياً؟

⚠ تحذير

"هذا الكتاب خطير جداً أنصحكم بقراءته ومحاولة التعرف على كل ما هو خطير في هذا الكون بدءاً من العوالم المجهولة وانتهاء بأنفسكم."

⚠ تنويه

" لا توجد أشياء خطيرة في هذا العالم، لا شيء أخطر مما قد يسكن بين طبقات نفسك، فاقتحم العالم واطمئن من جانبه تماماً لكن أحذرك لا تأمن جنبات نفسك."

⚠ تنبيه

"احتفظ بنسختك الورقية الخاصة من هذا الكتاب، لا تقرضه ولا تعطيه لأحد ولو كان من أقرب الناس إليك. اجر التجارب الموجودة به وأجب على الاختبارت المرفقة به بكل صراحة ولا تطلع عليها أحد. اكتب هوامشك وتعليقاتك على شخصيات الكتاب وتوقعاتك للأحداث. عد للكتاب من وقت لآخر وأعد إجراء التجارب والاختبارات ثم سجل ملاحظاتك وما اختلفت فيه النتائج."



كريمة الشريف كاتبة مصرية

- صدر لها:

تاروت .. رواية .. دار اكتب

COVER DESIGN BY AHMED FARAG

دار اكتب للنشر والتوزيع
DAROKTOB.COM

12 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور المحجر العربية - القاهرة - مصر

01111947957

E-mail : daroktob1@yahoo.com



9789774887390